العدد 100 ــ أغسطس 2015
يصدر مجاناً مع مجلة الرافد

ما زال الانتظار..

دائرة الثقافة والإعلام - حكومة الشارقة

ص.ب. 5119

هاتف: 5123333 9716+

بــرّاق: 5123303 9716+

www.arrafid.ae

◄ المواد المنشورة تعبر عن كاتبيها ولا تعبر بالضرورة عن رأي دائرة الثقافة والإعلام

◄ وكلاء التــوزيع: دولة الإمارات العربية المتحدة: شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع، دبي: ت: 3916501/ 04، قطر: دار الثقافة للطباعة والصحافة والـنشر والتوزيع: ت: 414482 البحرين: دار الهلال للتوزيع ت: 534561 - 05355590، اليمن: دار القلم للنشر والتوزيع والإعلام صنعاء: ت: 272562 - 0272563، المغرب: الشركة العربية الإفريقية للتوزيع والنشر والصحافة «سبريس» الدار البيضاء: ت: 249200، مصر: مؤسسة أخبار اليوم: ت:5782700، سوريا: المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات.

ما أزال أنتظر..

مجموعة قصص قصيرة جداً

د. أحمد زياد محبك

دائرة الثقافة والإعلام الشارقة

1 شظايا

هذه القصص مرآة، أصابها حجر، فتناثرت شظايا، ستـرى العالم فيها ممزقاً مشتتاً متناثراً مبعثراً لا نظام له. لملم بأصابعك الشظايا، ضم بعضهـا إلى بعضها الآخر، ابحث فيها بنفسـك عن صورة واحـدة، عن رؤية موحدة، سـتجد نظاماً، وستكتشف وحدة تضمها. ليس في جمع الشـظايا المتناثرة تسلية ولا متعة، لا بد من أن تجرح إصبعك.

***

2 العنوان فقط

سـألته: «مـا رأيـك فـي هـذه المجموعة القصصيـة»، أجابنـي: «لم أعـرف المقصود من العنوان؟»، سـألته: «هل قـرأت القصص كلهـا؟»، أجابني: «أول أربـع قصص، فقط»، قلت له: «أتمنى أن تقرأها كلها، إلى النهاية».

* * *

3 دائماً... كلُّها

سـألْتُه: «هل قرأت مجموعتـي القصصية الجديـدة؟»، أجابنـي: «نعـم»، سـألْتُه: «أي القصـص أعجبتك أكثر؟»، أجابني: «القصص كلهـا»، سـألته: «أي القصص لـم تعجبك؟»، أجابني: «قلت لك: كلها».

* * *

4 أمنية تحققت

سـئم العيـش وتكاليفه، تمنى أن يسـتضيفه أخ أو قريب أو صديق أسـبوعاً واحداً، لا يعمل ولا يشـتغل، ولا يبيع ولا يشتري، يأتيه طعامه وشرابه جاهزاً من غير كلفة ولا عناء، وتحققت أمنيته، رقد أسبوعاً في المستشفى.

***

5 غريب

قدماه غاطســتان في البحر، وهو قاعد على صخرة تعلوها الطحالب، لحيته بيضاء طويلة، كثير تجاعيد الوجه، الشــمس أمامه وقد سقطت تمامــاً في آخر البحر، الأفق ســديمي كئيب، لا شــراع ولا نورسة ولا ســحابة، هناك بصيص من ضوء.

ســألته: «لمــاذا تحــب، ياعــم، مشــهد الغروب؟».

صمت طويلاً، ثم، وبحركة عصبية، نهض، أدار ظهره إلى البحر، نزل عن الصخرة، ومشـى، فـوق النتوءات الصخرية، بخطوات يحاول جهده أن تكون سـريعة، كأنما يفرّ من وحش، يداه معقودتان وراء ظهره، رأسـه مطـرق نحو الأرض، كأنه يتبصَّر طريقه.

***

6 مُعْجَب

قدمتْ إليه طلبَ التوظيف، سـحره جمالها، فتنتـه حركتها الرشـيقة، أخذ يسـألها عن أمها وأبيها، عن إخوتها، عن تطلعاتها إلى المستقبل، نصـح لها أن تراجعه بعد يومين، اضطرها إلى أن تراجعه عدة مرات، وفي كل مرة يسألها عن طموحاتها، عن سـبب تقدمها إلـى العمل، عن الحي الذي تسـكن فيه، وفـي كل مرة يصطنع مشـكلة، الطلب يحتاج إلى طابع، الطلب يحتاج إلى صـورة شـخصية، يقدم لها فنجـان قهوة،

يحدثها عـن أولاده الناجحين، ولا سـيما الكبير منهم، وهو في السـنة الخامسـة في كلية الطب، عن عمله، عـن زوجته، عن حياته الهانئة، عن راتبه الجيد، عن الشقة الصغيرة الجديدة التي اشتراها، ثمّ تجرأ وقال لها: «هل أراك مساء في الحديقة القريبة مـن المديرية»، أجابته بعفوية: «بكل سـرور، ولكن أتمنى أن يحضر معك ابنك»، انعقد لسانه، سألها: «ولماذا ابني؟»، ردت عليه بهدوء: « كنت أحسب أنك ستعرفني على ابنك، لتخطبني له».

* * *

7 على ذوقه

دخلتْ إلى المحل، سألته: «من يختار للدمى هنــا في واجهة المحل هــذه الأزياء الجميلة؟»، أجابها: «هذه ليست دمى، هذه هند، وهذه نوار، وهذه ليلى، أنا أختار لهن»، قالت له: «أريد أن تختار لي مثلما تختار لهن»، أجابها: «ولكن أي واحدة منهن لا ترفض ما أختاره لها»، أجابت: «وأنا ســأقبل ما تختاره، لــن أرفض»، أجابها: «عليك إذن الوقوف إلى جانبهن في الواجهة».

* * *

8 الأخت

أمام رفوف الكتب أخذت تتجوّل، تنظر في العناوين، تـروح وتجيء مرات ومرات، وهي ترسـل نظرة بطرف عينها إلى الشـاب القاعد عنـد البـاب وراء المنضـدة وأمامـه صندوق النقـود، طال تجوالهـا أمام الرفوف، أرسـلت إليـه عدة نظرات، أخيراً نهـض، اقترب منها، بأدب جم وتواضع شديد، سألها: «هل يمكن أن أخدمك في شـيء، أيتها الأخـت؟»، أدارت له ظهرها،خرجت، ولم تعد.

* * *

9 التقويم

اشـترى التقويـم الجديـد، أخـذ مقعـده في الحافلة، أخـذ يقلب وريقاته، قرأ أسـماء الأيام والشـهور كلهـا، لا جديـد فيها، هي الأسـماء نفسـها، وضع التقويم في موضعه على المقعد، فتح النافذة، رمى نفسـه، لم يتنبّه إليه أحد، ظلت الحافلة تسـير، في الموقـف التالي صعد راكب جديد، أسـرع إلى المقعد الخالي، فرح بالتقويم الجديـد، أخذ يقلب وريقاته، فتـح النافذة، رمى التقويم.

***

10 ليست هي؟

أخذ يلـوّح بيده إلــى المودِّعيــن، وهو إلى جوار النافذة، والقطار بدأ يتحرك، فجأة من بين الوجــوه تألق وجهها، نهض من مقعده، أســرع إلى الباب، القطار انطلق، والباب مقفل، أسرع إلــى أقــرب نافذة، لــم يكن ثمة أحــد، لا محطة ولا رصيــف، لماذا جــاءت تودِّعــه؟ وهو من أجلهــا قرر الرحيــل؟ ولكن، تــرى هل جاءت حقيقة؟ عاد إلى مقعده، إلى جوار النافذة، غمره

عطرهـا، لا شـك في أنها هي نفسـها، رفع رأسـه، رآها على المقعد الآخر أمامه، لكن ليست هي.

* * *

11 غَيْرة

وهـو عائـد إلــى البيـت، خرجت لــه من المنعطـف، عينــان تتألقان، وجــه أنثوي ناعم، رقة ولطف، حدّق فيها، أرســل زفرة، ومشى، أحس بهــا تمشــي وراءه، التفت إليها، مشــى، وأخذت تمشي في إثره، ودّ لو يحملها بين يديه، لو يقبّلهــا، لو يصطحبها معه إلى البيت، وقف، التفـت إليها، أخرج الجــوال، التقط لها صورة، ومشى. من قبل كانت أمه تمنعه، واليوم زوجته تمنعه، لا يعرف لماذا تغار النسوة من القطط؟!

* * *

12 حتى هي

قلـت لصديقـي: «مـن أجلهـا كتبـت كل قصصـي، ولكن لم أقـرأ منهـا أي تعليق؟!»، أجابني على الفور: «هل نسيت؟ نحن لا نقرأ».

***

13 دعوة

عند باب المطعـم، وهما يغادرانه، ودَّعها، ومضى في الاتجاه الآخر. همس في سـّره: هذه آخر مرة نلتقي فيها، يجب أن أنهي هذه العلاقة، أخشـى أن تتطـور إلى ما هو أكثـر. بعد بضع خطوات يرن الهاتف الجـوال. تقول له: «مللنا من المطاعم، غداً تتناول الغداء في بيتي، يجب أن تذوق الطعام من يدي، زوجي سافر إلى البلد ليحضر عرس ابن أخيه». يسـأل نفسـه: «هل أزورها غداً؟!»

* * *

14 عشق

أكرهها وأعشقها، أمضيت العمر كله معها، هي هنا عند القلب، فوق القلب، لا أتخلى عنها، هـي معي دائمـاً، ليل نهار، تغلغلـت في عمق أعماقـي، احتلـت شـرايبني، مـلأت صدري، حلـت في السـويداء من القلـب، لا أتخلى عنها لحظـة، في البيت، في العمل، في السـوق، في الشـارع، في الصحـة، في المـرض، أملكها، وقـد امتلكتني، هي مليكتي، أنسـتني أمي وأبي وإخوتـي، أفـزع إليهـا فـي الكـوارث، وعند

الغضــب، هي الملاذ، لا أملك ســواها، هي قـدري، حتى على فراش المــرض هي معي إلى جواري في داخلي، بل في القلب والصــدر والرئتين والأعصاب والدم والعروق، أصحو عليها، أنام عليها، هي ســكري وشرابي وطعامي وغذائي، أستطيع أن أتخلى عن كل شــيء ولا أســتطيع التخلي عنهــا، أرادوا منعها عني فما استطاعوا، خبأتها في صدري في القلب في شراييني، ها أنذا في قبري أشــتاق إليها، ولا أطلب من ربي ســواها، إنها سيكارتي.

* * *

15 عند الوداع

فـور دخولي إلــى الفندق طالعنــي وجهه، كرهته فـوراً، تمنيت لـو أن الحجز لم يكن في هـذا الفندق، كأنه الذبابــة، التصق بي، لا يريد مفارقتــي، جبينــه ضيـق، شـعره أسـود ناعم منسدل على أذنيه، نظارته سوداء سميكة تشف عن عينين صغيرتيــن جداً غائرتين، أنف كبير مفلطح، صوته صوت جرذ يزقزق، «أنا مكلف بمرافقتك طوال أيام المؤتمر، أنا وسـيارتي في خدمتك، كل يوم سـآخذك في جولة في المدينة،

اطلب مني ما تشـاء»، وددت لو أقـول له: «انصرف عني، لا أريد مرافقتك»، تشاءمت من طلعته.

فـي اليوم الأخير، أبى إلا أن يوصلني بسـيارته إلى محطة السـفر، وأنا في الحافلة وهي تغادر المدينة، كان وجهه آخر ما أراه.

إلى اليوم ما أزال أذكره، يا إلهي، كم أنا مذنب.

* * *

16 لنكسر المرآة

علــى الرصيــف أراه قادمــاً نحــوي، وهو يحدق بي.

وجــه أصفــر نحيــل، صلعة أكلــت الرأس كله، ولم يبق إلا دائرة من الشعر الأبيض كأنها طوق فضي، تجاعيد ملأت الوجنتين والجبين، مثل ممثل شــهير لا أنســاه، أظنه عماد حمدي، لغــد كبير يتدلى تحت الذقــن حتى الصدر وهو يترجرج.

صـــار أمامي، وهو لا يزال يحدق بي بعينين كليلتين تهدلت فوقهما الجفون، وعلاهما شـــعر الحاجبيـــن الأبيض الكث كأنه أشواك الصحراء.

ومـــد يده نحـــوي مسـلِّماً، عرفتـــه، أهكذا يفعـــل الزمن في الإنســـان، لا أكاد أصدق، ها هـــو ذا يهتف: «أهلاً بصديقي في أيام الطفولة الأولى، هل تنســـى المدرسة الابتدائية التي كنا فيها معاً، وسور المدرسة والمدير...».

لدى عودتـــي إلى البيت، أديـــر ظهري إلى المـــرآة المعلقة على الجدار في مدخل الشـــقة، أقول لزوجتي: «ارفعي المرآة، موضعهـــا هنـــا غير مناســـب، كل يوم نراها فـــي الصباح وفي المســـاء». وترد: «ولكن أنت اقترحت لها هذا الموضع، وقلت لـــي: وجود المرآة فـــي البيت يجلب الســـعادة، وعلى الإنســـان أن يـــرى وجهه كل يـــوم». وأرد بغضب: «قلت لـــك ارفعيها، اكســـريها، تصرّفـــي بهـــا، أصبحت صدئـــة، متقشـــرة، عفنة، تخلصي منها».

* * *

17 دوام الحب

مودة كبيرة، حب يتجدد، صحبة لا ينالها أي شائبة، تفاهم يكاد يكون التفاهم المطلق، روحان تلتقيان، حسن تواصل، كلمات يتبادلانها لا تنفد، هما في المدينة نفسها، يصادف أحياناً أن يلتقيا في ندوة أدبية، أو محاضرة عامة، يراها، وتراه، يحيّي كل منهما الآخر عن بعد، قررا معاً استمرار اللقاء اليومي المتجدد، قررا دوام الحب عبر البريد الرقمي.

***

18 الدنيا بخير

صديق قديم، أحيل على التقاعد قبل عشــرة أعوام. أســأله الســؤال التقليــدي: «كيف أنت؟ كيــف الدنيا معك؟»، ويجيب: «هذا أنا، نظامي لا يتغير، كل يوم أخرج من بيتي في التاســعة، أمــر بالحديقة العامة، أقعد وحــدي أمام البركة الكبيرة، لا أقعد إلى جوار أحد، ولا أحد يقعد إلى جواري، أستمتع بالهواء النقي، والشمس الدافئة في الربيع، بالأشجار والورود، أو بالظل البارد في الصيف، ثم أمضي إلى دار الكتب الوطنية،

أقعـد فيها، أقرأ، أعيـش مع عباس محمود العقاد وطه حسـين والمنفلوطـي، وأحيانـاً جبران خليل جبـران، لا أغادر المكتبة حتـى الثالثة، في طريـق العودة أمر بالحديقـة، أقعد فيها حتى الرابعـة، ثم أتناول الطعام في الرابعة والنصف، في الخامسـة أنام حتى السـابعة، أسهر أمام التلفزيون، لا أخبار ولا تعليقات، أتابع المسلسلات، وأنام في الحادية عشرة، هذا برنامج حياتي، لا أتكفل بشـراء أي شيء، زوجتي تشتري، هي المسؤولة عن البيـت، أعطيها راتبـي التقاعدي كله، ليـس عندي مصروف، لا سـيكارة ولا حافلة ولا سـيارة أجرة، أحياناً يزورني الأولاد والأحفاد، أسـمعهم يتكلمون عن الأسعار والغلاء، أنا لا أعرف أي شـيء، لا أبالي ولا أهتم، أفتح المعجم الوسـيط وأقرأ فيه، قرأته أكثر من خمسين مرة، هذا المعجم كنز لا ينفد، وفي كثير مـن الأحيان أترك السـهرة والأولاد وأذهب إلى غرفتي للنوم، لذلك دائماً أقول لك: الدنيا بألف خير».

كلما قابلته أعاد عليَّ الكلام نفسـه. بالأمس التقيته مصادفة على الرصيف الآخر، سـلّمت عليه، أشـار إلـيَّ بيده من بعيد، ومضى، كأنه لا يريد أن يتكلم.

* * *

19 الصمت

يـزور لينا، وهو يعرفها تغار أشـد الغَيْرة، فيؤكـد لها أنه سـعيد في حياتـه الزوجية، وأن زوجتـه توفر له أجمل ما يمكن أن توفره امرأة لرجـل، فتنبـري لتؤكـد قدرتها على منافسـة زوجتـه، ويـزور نـوال، وهـو يعـرف رقـة مشاعرها، ولطفها، فيشـكو لها برودة زوجته، ومـا يعيـش فيه مـن حرمـان، ويؤكـد لها أن حياته كلها شـقاء في شـقاء، فتسقيه من حنانها، ويـزور لبنـى، وهي الغنيـة، فيحدثها تارة عن

سرقة محفظته، وأخرى عن زميل له في العمل سيجري عملية جراحيــة، وثالثة عن اضطراره إلى الســفر، فتغــدق عليه من عطاياهــا، وحين يأوي إلى زوجته آخــر الليل منهكاً لا قوة فيه ولا حول عنده، ويعرفها طيبة هادئة صادقة ومصدِّقة، يغضب ويثور ويلعن ويشــتم، فتسأله عما يغضبه، أو يزعجه، وتحاول جهدها إرضاءه، ولا تجد منه سوى الصمت.

* * *

20 الدود والأضراس

يقـول لــه طبيب الأسـنان: «التــأم موضع الضــرس الذي خلعته، وأصبــح بإمكانك زرع ضرس فــي موضعه، ســيكلفك عشــرين ألف ليرة، زَرْعُه سهل جداً، للأسف أنا غير مختص بزرع الأسنان، ســأدلك على طبيب مختص»، يجبيــه: «أنا الآن في الخمســين؟ كــم تبقّى من العمر حتــى أزرع هذا الضــرس؟ هل أزرعه ليأكلــه دود القبر؟»، الطبيب يضحك، يقول له: «أظنك رأيت العجوز وهو يخرج عند دخولك؟

هو فــي الثمانين، أخذ مني عنوان صديقــي الطبيب المختص، ســيذهب إليه ليــزرع أربعة أضراس»، ويصمــت الطبيب، ثم يعلق وهو يضحك: «بالمناسبة الدود لا يأكل الأضراس، لو فني جسمك كله، ستبقى الأضراس من بعدك، قد يستفيد منها بعد مئة عام حفار القبور، أو طالب في كلية الطب».

***

21 أذواق

أكثر من ربع ساعة مرت، وهي تتجول في المحل، عيناها تتنقلان بين الأزياء المعروضة، والسيدات من حولها ينتقين، تعبت من التجوال، ملـت، حارت في أمرها، لا تعرف ماذا تختار، أمـام البائـع رأت سـيدة وبين يديهـا معطف، أسـرعت إلى البائع سألته: «عندك معطف آخر مثله؟»، أجابهـا: «نعم، ولكن، من لون آخر»، قالـت لـه: «أريد من اللون نفسـه»، مدت إليها السيدة يدها بالمعطف وهي تقول: «إذا أعجبك،

خذيــه، أنا تنازلت لك عنه»، رفعت رأســها، لــم تتكلم، أدارت ظهرها، ثم خرجت من المحل.

* * *

22 سيملأ مجلدات

قـرر أن يكتب، فلديه أشـياء كثيرة، جديدة مبتكرة مدهشة لا يعرفها الآخرون، وهو، وهذا الأهم، يتقـن العربية أيما إتقـان، وهو حريص علـى الفصاحـة، بل حريـص على اسـتعمال الأفصح، وفي مكتبته معاجم اللغة كلها، وشرع في الكتابة، ومع كل كلمة، وقبل أن يتم الجملة، أخذ يرجع إلى المعجم، إلى المعاجم، ليتأكد من فصاحتها، ومن دقة استعمالها.

مـرت بضع سـنوات، وهو لا يـزال يتردد

حتى الآن في نشر ما كتب، بل يتردد في عرضه على صحبه، يخشـى أن يكون فيه شـيء من الضعف اللغوي، وهو لا يزال يراجعه وينقح، ليكون أكثر فصاحة.

ما كتبه لا يزيد على بضع صفحات.

* * *

23 إصابة الهدف

أمــه تقـف مــع الضيوف عنــد بــاب الدار مودِّعة.

يهــم بالخروج في إثرهــا، يلمح الكرة تحت السرير، كان قد أضاعها قبل يومين، اجتهد في البحث عنها، فلم يجدها، زحف تحت الســرير، أحضرهــا، رماها، أصابت كأســاً زجاجية في الكـؤوس المصفوفة على رفٍّ عالٍ في الجدار، تلقى الكرة، قذفها ثانية، أصابت كأســاً أخرى، ســقطت علــى الأرض، وتكســرت، ضحــك،

ضحك كثيراً، كان قد رآهم في التلفاز يقذفون بكرة، يدحرجونها على الأرض لتصيب كؤوساً مصفوفة، بعضها يقع وبعضها لا يقع، وهو الآن يصيب كأسين، قذف الكرة ثالثة، أصاب كأساً وقعت وتحطمت، أصاب كأساً، كل كأس تقع تتحطم، وتتناثر شظاياها، وهو يضحك لدى سماعه صوت التحطم.

تدخل عليه أمه، تشهق، تضع يدها على صدرها، تسرع إليه، تحمله، حتى لا يدوس بقدمه الحافية فوق الشظايا، تقف تتأمل شظايا الكؤوس المتناثرة على الأرض، ترفع رأسها إلى الرف، لم يتبق سوى كأس واحدة من الكؤوس التي أحضرها لها أبوها هدية بمناسبة عيد ميلادها.

تضم ولدها إلى صدرها، تخبِّئ وجهها في عنقه، تقبِّله، «كلها فداك يا حبيبي، الكأس الوحيدة الباقية أصبحت الأثمن والأغلى».

* * *

24 دغدغة

انجـذب نحـو السـيخين اللامعين، مشـى نحوهما بخطاه المتعثـرة، جذبهما فانجذبا إليه، قبل أن يصل إليهما سـقط علـى الأرض، تابع طريقـه إليهمـا زحفـاً، وعيناه تلتمعـان، وهو يضحك ويكركر، سـحب السـيخين من النسيج بيسر وسـهولة، رماهما جانباً، أمسك بأصابعه الصغيرة طرف الخيط، شـده، فاسـتجاب إليه، سـحبه فطال بين يديه، سحبه أكثر، رآه يمر من طرف النسـيج إلـى آخره في حركـة متكررة،

يـروح ويجيء بلطـف، يحس فـي حركته بمويجـات ناعمة، اسـتغرق في جذب الخيـط، والخيط ينجذب، يحس بموسـيقى هادئـة كأنها كركـرة، أو دغدغـة، بدأ يضحك، أخـذ يكركر، اسـتغرق في جـذب الخيط، وهو يتأملـه، الخيط يروح ويجيء في النسـيج، والنسـيج يتناقص، وإلى جانبه كومة من الخيطان تتراكم وتعلو.

وتدخـل عليـه أمه، ينظـر إليهـا، يضحك، عينـاه تلتمعان فرحاً، يداه لا تزالان تسحبان الخيط، والنسيج يتناقص، وكومة الخيطـان إلـى جانبه تتراكم، لـم يتبق من الكنزة سـوى مقدار إصبعين، وهي التي عملت شهراً على حياكتها.

* * *

25 قطعتان أفضل

زحـف نحـو الطاولة، اسـتند إلـى رجلها، اسـتطاع أن يقف على قدميه، اسـتند إلى جانب المنضدة، أخذ يمدّ قدميـه في خطوات متعثرة، وصـل إلـى درج الطاولة، جذبـه فانجذب، مدّ كلتـا يديه فـي الدرج، بعثـر الأشـياء، ثم وقع على الأرض، وهو متشـبث بشـيء، قعد على الأرض، وهـو متشـبث به، يشـده بكلتـا يديه، يرفعـه إلى وجهه، يحاول وضعه في فمه، على

رأسه، فوق عينيه، يشده بكلتا يديه، يقسمه إلى قطعتين.

وتدخــل عليه أمه، يرفع إليها كلتا يديه فرحاً، وهو يضحك، وإذا نظارة أبيه بين يديه قد أصبحت قطعتين.

* * *

26 الولد سرّ أبيه

وهي في المطبخ، جاءها صوت بكائه، ليس كالبكاء، هو صراخ وعويل، لم تسمع مثله من قبل.

هل لدغته أفعى، هل ذبح نفسه، هل وقع على الأرض؟ أسرعت إليه، يصيح يبكي يخبط الأرض بقدميه، يفرك عينيه بيديه، عيناه حمراوان، متورمتان، وعلى الأرض زجاجة عطر، كان قد أفرغها على يديه، ومسح بها عينيه.

هو مثل أبيه، يحب العطور.

27 المفتاح

تنبّــه الأب إلى الصوت، نهض، أســرعت الأم، لحــق بهم الجد. حاولوا فتــح الباب. الباب مقفل من الداخل.

كيف عثــر على المفتاح؟ كيــف وصل إلى موضعــه في الباب؟ كيف اســتطاع وضعه في الثقب؟ كيف اســتطاع أن يديره؟ الأم تنقر على البــاب بأصابعهــا: «افتــح حبيبــي». يضحك، يكركر.

الأب والجـد والأم يتجمهـرون عنـد البـاب، يتصايحون، يصرخـون، كل منهـم يناديـه، يدقـون على الباب بقـوة، يعلو صراخهم: «افتح، افتح»، ويعلو صوته بالبكاء.

* * *

28 أين اختفى؟

كيـف يظهر هـذا الرجل في التلفـاز؟ لماذا يختبـئ وراءه؟ كيف دخل فيـه؟ يزحف نحوه، يصـل إلى المنضدة، يتشـبث بطرفها، ينهض، ينظر في ما وراء التلفاز، يمد رأسـه، يمد يده، يلتف وراءه، يحاول أن يدخل فيه من خلف.

ويدوي صـوت انفجار مدهـش، ينظر إلى الشـظايا، يدهشـه الإطار، أين اختفـى الرجل الذي كان هنا قبل قليل؟

* * *

29 إصبع واحدة

يزحف نحو السرير، يتشبث بحافة السرير، يمد يده تحت الوسادة، يده تعثر عليه، يسحبه، يقع من يده على الأرض، ويقع معه، يميل عليه، يحمله بصعوبة، ثمة موضع يستهويه، يضع إصبعه فيه، يضغط عليه.

تدوي طلقة تردد الجدران صداها، تعلو قهقته، ثم يعقبها بكاء.

تدخل الأم، رصاصة على الأرض فارغة،

والمسدس بين يديه، وهو يبكي، تحمله، تتلمسه بيديها الاثنتين، لا تصدق، تضمه إلى صدرها والدموع تسيل على خديها. «الله لطيف بالعباد، الحمد لله».

***

30 براءة طفل

يحملها بين يديه، يضمها إلى صدره، يشد أذنها، يحملها من عنقها، تموء، وتسرع إليه أمه، تصيح: «يا إلهي»، وتطمئنها الجدة: «لا تقلقي، القطة تفهم براءة الأطفال».

***

31 أين الحقيبة؟

أنا أمام الموظف، جاء دوري، أقول له أريد سحب رصيدي كله، ينظر في الحاسوب، يقول لي: «رصيدك عشرة ملايين، هل أنت متأكد أنك تريد سحبه كله؟»، أدهش، أقول له: «رصيدي لا يمكـن أن يزيد على خمسـين ألف ليرة؟!»، يضيـف: «في حواسـيب المصـرف خلل، كل الأرصـدة اليوم تختلف، رصيـد يهبط ورصيد يتضاعف، والكل يسـحب»، أقول: «ولكن؟»، يعلق: «هي فرصة، اسحب، هذا ما يعطيني إياه

الحاسوب، وأنا وأنت لا يتحمل أحد منا المسؤولية، هي فرصة، هيا أسـرع إلى شـراء حقيبة كبيرة»، ألتفت، المصرف يغص بالناس، وكلهم يحملون حقائب كبيرة، ورائي رتل، أتردد، يقول لي: «أسـرع بإحضار الحقيبة، سأحتفظ لك بدورك، ترتيبك هو الثالـث»، خارج المصـرف الناس يتزاحمون علـى محل لبيع الحقائب، أدخل في الزحام، أجساد تضغط عليَّ، من أمام ووراء ومن فـوق ومن تحت، وأنا بين الأقدام والأيدي والأرجل، أكاد أختنـق، أتصبّـب عرقاً، وأخيـراً أحمل الحقيبة وأسـرع أرقى الـدرج، فـور وصولي إلى البـاب الحديدي الكبيـر للمصرف يـدوي صوت إغلاقـه، أصيح بصوت مخنـوق، بل أصيح من غير صوت، حلقي جاف، والعرق يتصبّب مني، «افتح افتح»، وأصحـو وإذا أنا في الفراش أتصبب عرقـاً، وقد أغلق الهواء باب الغرفة، زوجتي إلى جواري تنهض مذعورة وهي تسألني: «من أغلق الباب؟»، أهم بسؤالها: «أين الحقيبة؟».

* * *

32 اللثام

نزل من سيارته، دخل على رئيس المخفر، اعتـرف أمامه بأنــه ارتكب للتــو جريمة قتل، أسرع رئيس المخفر مع ثلاثة من رجال الشرطة إلى ســيارة الأمن، ومعهم الرجل الستيني، مقيد اليدين، ليدلهم على موضع الجريمة.

«بعت قطعة أرض، واســتلمت ثمنها ثلاثة ملاييــن، وضعت المبلغ في حقيبة الســيارة، لم أبتعد عــن مكتب الوســيط العقــاري بأكثر من ألفي متر، وهو يقع خــارج المدينة، حتى ظهر

لــي رجل ملثم على دراجة نارية، أشــار لــي بالتوقف، أوقفت سيارتي، هددني بخنجر، أنكرت أن يكون معي أي مبلغ، ولكن أكد لي أنني قبضت ثلاثة ملايين».

هكذا كان يحدثهم، مقيد اليدين، وهو في السيارة إلى موضع الجريمة، ويسأله رئيس المخفر: «بمن تشك؟»، ويجيبه: «لا بد أن يكــون أحد الرجال الذين كانوا في مكتب الوســيط العقاري، المهم، أني قلت له المبلغ في صندوق السيارة، اتجه على الفور إلــى الصندوق، عندي تحت المقعد مســدس، فوراً أطلقت عليه النار، وجئت إليكم بســيارتي». ويســأله رئيــس المخفر: «هل رأيت وجه الرجل؟»، ويرد: «لا، هو شــاب، نحيل، طويل، إذا رأيت وجهه سأعرفه بالتأكيد».

تصل ســيارة الشــرطة إلى مكان الحادث، بعض القرويين يلتفون حول جثة على الأرض.

يزيــل رئيس المخفــر اللثام عن وجه الجثــة، يطلق الرجل الســتيني صيحة ويســقط مغشــياً عليه، صدى الصيحة يتردد: «ولدي الوحيد أحمد».

* * *

33 لو كانت عشرة

بعد أقل من خمسة عشر يوماً يدخل عليه المحامي العجوز، ليقول له: «بذلت جهدي كله، صدِّقني، وهذه أقصر مدة استطعت فيها طوال حياتي المهنية، وعمرها ثلاثون عاماً من العمل في المحاماة، والتخصص في أمور الميراث، استطعت إحصاء أموال والدك المرحوم المنقولة وغير المنقولة، وهي كلها لك بالطبع، فأنت وريثه الوحيد، فلا أخ لك ولا أخت، وأمك متوفاة، يرحمها الله، ويرحم الوالد».

ويقاطعه: «قل لي كم هو المبلغ؟ عجِّل نشف ريقي، أتعابك محفوظــة». ويجيبــه المحامــي: «المبلغ بالتمام تســعة ملايين وســبعمئة ألف وخمسمئة ليرة بالتمام، عليه رحمة الله». يرسل الولد زفرة ثم يقول: «هذه ليست بالتمام،الله لا يرحمه».

* * *

34 طعام البحر

طارت من يده وسـقطت في البحر. صاح، لطـم وجهه بيده، «يا ناس، يا ناس أنقذوني، ألا يوجـد بحارة؟ ألا يوجد أحـد من الغواصين؟». والتـف الـركاب من حولـه. مال بكل جسـمه نحوها، وهـي تغوص، البحـر يبتلعها، ما عاد يراها، تسلق سـور الباخرة، ولكن الركاب من حوله أمسكوا به، «ماذا تفعل يا رجل؟ أنت على ارتفـاع هائل»، «القرش يحوم حول الباخرة»، «وهل تعرف السـباحة؟». لا يعرف كيف زلت

قدمه، البحر هادئ، والباخرة تسير الهوينى، ولكنها طارت من يـده وابتلعها البحر. ليت لصاً سـرقها، كان انتفع بها، لم يحمل سـواها، حقيبة يد صغيرة، أودع فيهـا كل ما حصله من أموال طوال عشر سنوات في الغربة، وها هو ذا يعود إلى الوطن كما خرج منه، ليس عليه غير ثيابه.

***

35 انتهى الدوام

الرتل طويل، وأنا قريب من كوة الصراف، لم يبق أمامي سوى عشرة أشخاص، ورائي سيدة، تضغط بصدرها على ظهري، أحاول تحاشيها، لكنها تلتصق بي، أحس دفء ثدييها، ألتفت إلى السيدة، ما توقعت هذا؟، كم هي جميلة، أجمل من كل المذيعات في القنوات الفضائية كلها، لم أتوقع أن تكون السيدة التي ورائي على هذا القدر من الجمال، ولم أتوقع أن تكون في هذا العمر، دون الثلاثين، حسبتها

عجـوزاً، أنحني أمامها، أحاول فسـح المجال لها لتقبض قبلي، تشـكرني معتذرة، مؤكـدة أن الدور لي، ثم تلتفـت نحوي، بل يلتفت كل منا نحو الآخـر، أنجذب نحوها، نقف متقابلين، كأننا خـارج الرتـل، تعلق، لا بأس، سـأقبض قبلك، ولكن بشـرط، وتضيـف فوراً: بعد قبض المبلغ سـنذهب إلـى منزلي، لنحتفل بالمبلغ، أنا أعيش وحدي، أحس بأنفاسها الشذية، وهي تكلمني، صدرها الممتلئ أمامي، تحت أنظاري، وهي تلتصق بي، رجل يربـت على كتفي، يشـير لي: دورك، أنت أمـام الكوة، قبل أن أكلم الموظف، أراه يغلق الكوة، وهو يشـير بيديه، يرن الجرس معلنـاً انتهاء الدوام، وأصحـو على رنين جرس المنبه، وإذا أنا في الفراش وحدي.

* * *

36 حديث المائدة

ما إن اســتقر الضيف إلــى المائدة حتى أخذ يكلمه المضيف:

تذوّق هــذا النوع من الجبن، هو فاخر جداً، صديق لي من الريف يحضره لي كل أسبوع... لا لا تتنــاول مــن هــذا الصحــن، اتركــه إلــى الأخير، تذوّق هذا النوع من الحســاء، زوجتي متخصصة في إعداده ....وهذا النوع من الخبز اشتريته أمس خصيصاً لك، فقط تذوّقه.....أنت تشــعر بالخجــل، لا يا رجل، البيــت بيتك، وأنا الضيــف... أنت تأكل بهدوء شــديد، الطعام كله

أمامك، كل ما تشـاء، لا بد من أن تتذوق هذه الصحون كلها.... لا تنظر إليَّ، أنا قبل مجيئك بعشـر دقائق ملأت بطني، وجدت نفسـي أمام المائدة، والطعام بين يدي، لم أسـتطع المقاومة، أنا أحب الطعام....هو سـرّ الحياة، هل تذكر الحواريين؟ طلبوا من السيد المسيح أن ينزل عليهم الرب مائدة من السماء، واستجاب لهم، هذا يعني أن الطعام علامة من علامات الإيمان وهو حجة إلهية... لا بد أن تأكل كل ما في هذه الصحون.... أعرف نفسي أنـا أثرثر كثيراً، ولكن أريد تسـليتك، حتى هذا الماء اشـتريته أمـس خصيصاً، ماء الحنفيـة عندنا ليس نقياً، اشـرب من هذا المـاء، فقط حاول أن تتذوقـه، لتحس بطعمه الخاص، ورائحته المميزة....أوه، لا يجوز يا رجل، يجب أن تفرغ الصحون كلها، أنت لم تأكل شـيئاً، زوجتي سـوف تظن أن طعامها لم يعجبك، صدِّقني سـهرتْ زوجتي ليلة أمس كلها وهي تعدّ هذه الأنواع، لا يمكن في الحقيقة أن ترجع الصحون ممتلئة كما جاءت، هات إذا شـبعت أنت، أنا سوف أفرغ هذه الصحون كلها في جوفي، هـذا خير من أن تشـعر زوجتـي بالخيبة، فتظـن أن الطعام لم يعجب الضيف، وهي سهرت طول الليلة السابقة في إعداده.

ويهجم المضيف على طعام الضيف.

37 مأدبة

أحمـد يفتح فمه إلى أقصى حدّ، يلقي بقطعة لحم في حلقه، يرفع رأسه إلى أعلى، إلى أقصى ما يستطيع، يمد عنقه، مثل الدجاجة عندما ترفع رأسها إلى السماء وهي تشرب، كي يندلق الماء عبر الحلقوم إلى المعدة.

حامـد يملأ راحة كفه باللحم الناعم والأرز، يميل عليه برأسـه وجذعه، يكاد وجهه يلاصق المائـدة، يسـف الأرز واللحـم من راحـة يده، كالجمـل وهـو يلم الطعـام بمشـفريه، ثم يلعق

راحة يده بلسـانه. محمود يمد أصابعه الثلاثة، الإبهام والسبابة والوسـطى، يكورها مثل كلابة، يغوص بهـا في فم الخروف، يقتلع اللسـان من جذوره، ثم يدليه كاملاً في حلقه، حمدان يلوي سـبابته مثل المنجل، يغرزها في الكتف، يستل عضلة حمراء، يلقيها بين فكيه. بكلتا اليدين يمسـك حميد عظمة الفخذ، ويحشر وجهه فيها، يقضم اللحم. في التلفاز أمامهم تبث قناة علمية فيلماً وثائقيـاً عن قطيع من الضباع وهو ينهش جيفة خروف، يصيح أحدهم: «ما هذا البرنامج؟ أغلقوا التلفاز، شيء مقزز، أو انتقلوا إلى فضائية أخرى».

* * *

38 ثمن العلبة

يتناول علبة تبــغ، ثم يتوجه إلى الصندوق، يناول العامل القاعد وراء الصندوق قطعة نقدية من فئة مئة ليرة، ويقول له: «أخذت علبة تبغ»، يســأله: «علبة واحدة؟»، ويرد الرجل: «نعم»، يتناول منه مئة الليرة، بهدوء، ينظر فيها، يقلِّبها بين يديه، يضعها في الجهاز الكاشف عن النقود المزيفــة، يتأملهــا، يخرجها على مهل، يمســح بيده شــعره الأشــقر، يعيد النظــر فيها، يضعها فــي الصندوق، يعود فيســأل: « قلــت لي علبة تبغ واحــدة؟»، يجيبــه: «نعم، علبــة واحدة»،

يفـرك عينيه، ينظر في الصندوق، يرفع رأســه، يســأله: «أنت أعطيتنـــي مئة ليرة؟»، ويرد الرجـل بهدوء: «نعم، مئة ليرة»، يغلـق الصندوق، يلتفت إلـــى الرف، حيث صفـت علب التبغ، يتأملها، ثـم يغمغم: «نعم، علبة تبغ واحـدة، ومئة ليرة»، يلقي نظرة من خلال الزجاج إلى الشـارع، كأنــه ينتظر أحداً، ذهنه شـارد، يحك أذنه، ينظر في ساعة يده، يلتفت إلى الرجل: «آه، ســامحني، مئة ليرة، وعلبة تبغ واحـدة، أنا غير متأكد إذا كنت وضعت المئة في الصندوق؟ هل رأيتني أضعها في الصندوق؟ أحيانـاً أخطئ فأضع النقود في جيبـي»، يفتح الصندوق، ينظر فيه، يسـتل مئة الليرة، ينظر فيها، ثم يرفع رأسه، يسأل الرجل: «هـل هـذه هي المئة التـي أعطيتنـي إياها؟»، ويـرد الرجل: «نعم»، ويســأله، وهو يمســح شـعره الأشـقر بيده: «هل أنت متأكد؟»، ويرد الرجل: «نعم، أنا متأكد هي نفســها»، ويســأله: «أنا أحياناً أنســى ســامحني، هل رددت لـك البقية؟»، ويجيب الرجل: «لا، لم ترد لي أي شـيء»، الشـاب يقعد في الكرسـي وراء الصندوق، يرخي جسـمه، ينظر في ساعة يده، ينظر إلى الشـارع عبر الزجاج، يعلق: « الحمد لله، أنا لم أخطئ سـأرد لـك البقية، ولكن أنا غير متأكد من ثمن هذه العلبة، هل تسـمح لـي؟»، يمد الرجل يده بالعلبة ويقول له: «السـعر مكتوب هنا،

خمس وسـبعون ليرة»، يتناول منه العلبة، ينظر فيها، يتأملها، يتأكد من السـعر، ثم يعلق: « لا بد من التأكد، هذه أمانة، يجب ألا أخطئ، وأنت نفسك لا تقبل الخطأ، أنت أعطيتني مئة ليرة، لا بأس، سـوف أرد لـك البقية»، ينظر فـي الصندوق، يتأمله، ينظر في سـاعة يده، ينظر إلى الشارع عبر الزجاج، يقول له: « ولكـن للأسـف ليس فـي الصندوق أي قطعة مـن فئة خمس وعشرين ليرة، أعطني قطعة من فئة خمس وعشرين سأعطيك قطعة من فئة الخمسين، أو يمكن أن تمر غداً لتأخذ البقية، ولكن غداً يوم عطلة، والمحل مغلق»، يغلق الصندوق، يمد نظره إلى الشارع عبر الزجاج، ينظر في ساعة يده، يمسح شعره الأشقر بيـده، يقف، يمـد يده في جيب سـرواله، يقـول للرجل: «الآن تذكـرت، في جيبي أربـع قطع من فئة خمس وعشـرين ليرة، وجـدت الحل»، يقـول له الرجل: «وأنا وجـدت أيضاً الحل»، الشاب يسـأل بهدوء وهو يمسح شعره الأشقر بيده: «وما الحل الذي عندك، قل لي أرجوك؟»، يلقي الرجل بعلبة التبغ في وجه الشاب، وهو يقول له: «سأترك لك العلبة ومئة الليرة، أنا أقلعت عن التدخين». ثم يغادر المحل.

* * *

39 موقف خاص

رجع بعد أقل من عشر دقائق، فوجد سيارة تقف إلى جوار سـيارته، بمحاذاتها، تسد عليها سبيل الخروج، دهش، حار في أمره، لا يعرف مـاذا يفعل؟ قبل عشـر دقائق فقط كان قد صف سـيارته إلى جوار الرصيف تماماً، في موضع فارغ بين سيارتين، دخل إلى الصيدلية، اشترى الدواء وخـرج، بل هي أقل مـن خمس دقائق، لمـاذا صفت هذه السـيارة في لصقـه، وأغلقت عليه سـبيل الخـروج بسـيارته، أرسـل زفرة

طويلة، وقف يتأمل، نظر إلى ساعة يده، لا بأس، لعل صاحبها اضطـر إلى الوقوف مثله لشـراء حاجة، أخـذ يروح ويجيء، أخـذ يتنفس بهدوء، لا ضرورة للغضب، لا بأس، الجو صحو، والمحـال على طرفي الشـارع تغص بالنـاس، والحركة على الرصيف سريعة ومسلية، اقترب من السيارة، رأى في الزجاج الأمامـي ورقـة ملصقة من الداخل، اقتـرب منها، هو من غير شـك رقم الهاتف الجوال لصاحب السـيارة، على الفور اتصل به، «أخي الكريم، سـيارتك سـدت عليَّ الطريق، أرجوك، أين أنت؟»، وجاءه الجواب: «لا بأس، فقط عشـر دقائق، وسـوف أصـل»، نظر إلى الصيدليـة، هو خطئي من غير شـك، لماذا أوقفت سيارتي هنا لشراء الدواء؟ قرب بيتي صيدلية، صاحبها صديقي، كان يمكنني شـراء الدواء مساء، ولكن، أنا لم أخطئ، مـكان فـارغ يمكـن صف السـيارة فيـه، وهو يغـري بإيقاف السـيارة، يكاد يكون أمام الصيدلية، هو أمام محل لبيع الأحذية، وهاهو صاحب المحل يقعد في كرسي عريض، وضعه في باب المحل، وبيده جريدة، وهو يسـتمتع بأشـعة الشمس، له العذر، لسـنا في موسم الصيف ولا الشتاء، وليس في الأيام القادمة أي مناسبة أو أي عيد، لذلك قعد في باب المحل، لا زبائن ولا بيع،

هـو بدين، بطنه كأنها الكرة الأرضية، إلى جواره محل صغير لبيع التبغ، لو كنت أدخن لاشتريت علبة، وينظر في ساعة يده، عشـر دقائق مرت، عشـر دقائق أخرى تمر، الشـمس ممتعة، لا بأس، سوف أسـتمتع بوقفتي أمام السيارة، سأتصل به ثانية، «أخي أرجوك، أنا أمام سـيارتك أنتظـر، أرجوك أين أنت؟»، ويرد: «حاضر، حاضر، أنا قادم، سأنهض حالاً، بقيت الصفحة الأخيرة من الجريـدة أنا قادم»، ويلتفت، الرجل البدين ينهض، يضـع الجريدة على الكرسـي، يتقـدم نحوه، ينظـر فيه، «هذا أنت؟ قاعد أمام المحل وتتركني أنتظر نصف السـاعة؟» ويرد عليه بهدوء، وهو يفتح باب السـيارة: «هـذا المكان مخصص لسـيارتي، هو أمام محلي، فـي المرة القادمة لا تحاول الوقوف فيه».

* * *

40 أنا المخطئ

يخـرج مـن بـاب المديريـة، يحمـل ملف المعاملة بيده، يحكم عليه قبضة يده، يكاد يتعثر عند الدرجة الأخيرة، ينظر في سـاعة يده، وقد أصبح في الشـارع، خارج المديرية، حقيقة هي الساعة الآن الثالثة إلا عشر دقائق، أنا جئت إلى الموظف في الساعة الثالثة إلا الربع، الموظفون ينصرفون في السـاعة الثالثة والربع، أليس من حقهـم أن يرتاحوا نصف السـاعة قبـل انتهاء الدوام، من حقه أن يغلق السجل قبل ثلاثة أرباع

الســاعة، ويرتــاح، من حقه أن يحتســي فنجان قهــوة، ويدخن سيكارة أو ثلاث سكائر في ثلاثة أرباع الساعة الأخيرة، حقيقة أنــا أحمق، كيف أجيء إليه عند نهاية الدوام، قبل انتهائه بثلاثة أرباع الســاعة، لأطلب منه تســجيل المعاملة في سجل الوارد، كان يجب أن أنتظر إلى صباح اليوم التالي، وبالطبع يجب أيضاً ألا آتي إليه في الثامنة، مع بدء الدوام، من حقه أيضاً في الساعة الأولــى من الدوام أن يشــرب قهوة الصبــاح، يجب أن آتي إليه في التاسعة، بل الأفضل أن آتي في التاسعة والنصف، حقيقة أنا مخطئ، بل أنا غبي.

* * *

41 ساعة السرور

سـنوات المراهقة والشـباب أمضاها وهو يحلم بالسـاعة التي يضـع فيها خاتم الخطبة في إصبع من يحب، وحين حانت السـاعة، ووضع الخاتـم في إصبعها، أحس بكل القهر والتعاسـة والألم، الخاتم كلفه رواتب ثلاثة أشهر.

***

42 يعرف طريقه

خلع حذاءه بهدوء، دخل في الممر الضيق، وضـع يده علـى الجدار، تلمسـه براحـة كفه، هـو رطب، باطن قدميه يتلمـس البلاط البارد، يسـير على مهل، يتحسـس الطريـق، يده تمتد إلى مقبض الباب، تعرف الهدف، أصابعه على المقبـض، حديد بارد، بل رطـب، يديره، يدفع الباب بهدوء، يلمس الجـدار على يمينه، يلمس الخزانة التي إلى جـوار الباب، يده تتلمس باب الخزانة، يعـرف أن في منتصف الغرفة طاولة

مستديرة، يده تمتد نحوها، أصابعه تلمس حافتها، تمتد يده اليمنى إلى وسط الطاولة، هناك آنية زجاجية كروية، يعرفها، يعرف موضعها، يتلمس غطاءها، في أعلاها كرة صغيرة كحبة البندق، يمسكها بالسبابة والإبهام، يرفع الغطاء وهو يتحسسه براحة كفه، يمسح عليه، ناعم، زجاجي، بارد، يلتقط من داخل الوعاء قطعة سكر، يدفع بها في فمه، أرض الغرفة باردة، تلسع قدميه، يداه تمتدان في الهواء، وهو يعرف وجهته، الهواء بارد، يتابع خطواته بهدوء، يصل إلى السرير، يندس فيه إلى جانب جسدها الساخن، يبدأ يتحسَّسه.

* * *

43 تنظيم الوقت

مــع رأس الســنة الجديــدة اشــترى تقويماً شهرياً على الجدار مقابل مكتبه، اشترى تقويماً أســبوعياً وضعه أمامه على المنضدة، اشــترى تقويمــاً يومياً وضعه إلى جواره على المنضدة، اشــترى مذكرة صغيرة للجيب، اشترى مذكرة كبيرة للمكتب، اشــترى ســاعة كبيــرة للجدار، واشــترى ســاعة جديــدة لليــد، قرر مع الســنة الجديــدة أن ينظم وقته، قرر أن يســتفيد من كل ساعة من وقته، من كل دقيقة، قرر أن ينام ست

ســاعات فقــط بدلاً من ثماني ســاعات، قرر أن يتنــاول طعاماً جاهــزاً ســريعاً حتى لا يضيع وقته في الطعــام، قرر ألا يحلق ذقنه، قرر ألا يذهب إلى الحلاق ليقص شعره، سيستفيد من كل ثانية من وقته.

لم يتم الشهر، رمى بكل ما اشترى، أخذ ينام عشر ساعات، بدأ يقعد إلى المائدة ساعة بل أكثر، أخذ يحلق ذقنه كل يوم، أخذ يذهب إلى الحلاق ليقص شعره كل أسبوع، قرر ألا يترك على سطح المكتب ولا في الغرفة أي شيء يدل على الزمن.

* * *

44 مسألة مزاج

احتــاج إلى وثيقة شــخصية، طلــب إجازة لســاعتين فقط من عمله، وتوجه نحو المؤسسة المســؤولة، انتظر نصف ساعة على الرصيف حتى تمكن من الصعود في سيارة أجرة، أمضى ســاعة ونصــف الســاعة حتى وصــل إلى تلك المؤسســة، دخل على الموظف في نحو الساعة الثانيــة، قــال له الموظــف: «جئتني فــي نهاية الــدوام، راجعني غداً»، أجابــه: «الدوام ينتهي فــي الســاعة الثالثــة والنصف، والآن الســاعة

الثانيــة إلا بضــع دقائــق»، أجابه الموظف علــى الفور: «أولاً لســت مديري حتى تحاســبني، وثانياً من حقي أن أســتريح في الســاعة الأخيرة من الدوام، وثالثاً شخصيتك لم تعجبني، ولذلك قررت ألا أستلم منك طلبك، هكذا، لا لشيء، لأن مزاجي تعكر عنــد رؤيتك، وأخيراً إذا لم يعجبك كلامــي فاذهب إلى مديري المباشــر أو المدير العام أو الوزير فارفع دعوى ضدي، أو إذا كنت بطلاً فتفضل وحاول ضربي».

* * *

45 عودة إلى الغابة

مـرت بضعة أيـام لم يسـتطع فيهـا قطيع الذئاب افتراس أي شـيء لا فـي الغابة ولا في السـهل ولا في الجبل ولا فـي المغاور ولا في الكهـوف ولا قرب النهر، أخيـراً توجه القطيع من أجـل الصغار قبل انبـلاج الفجر إلى مدينة قريبـة، لدى اقتـراب القطيع منها تسـربت إلى القطيع المتوحش الجائع المفترس روائح بارود وعبق حرائق ونتن جثث، القطيع توقف، رجع

إلــى الغابة على الفور بعيداً عن المدينة، خشِــيَ أن يُتَّهَمَ أنه هو الفاعل.

* * *

46 قوة الحياة

يمـران به، وهو في المحـل، يقول أحدهما لصاحبه: «انظر، أمـس توفي أبوه، وهو اليوم في المحل يبيع ويشـتري»، يـرد عليه صاحبه فيقول: «هكذا هي الحياة، هي أقوى من الموت، ومـن حقه أن يعيش، هل تريد له الدفن على قيد الحياة إلى جوار والده؟».

***

47 انكسارات

سـمع صوت تحطـم كأس، فأسـرع إليها، وهـي في المطبخ وراء المجلـى، وأخذ يوبخها ويلومها ويشـتمها، التفتت إليـه بهدوء، وقالت: «هل نسـيت مـاذا قلت لي يوم وقـع الكأس من يـدي وانكسـر ونحن فـي الأسـبوع الأول من زواجنـا؟»، يصمـت، ثم يضيـف: «لا أتذكر، ولكن هـذا يعني أن الكؤوس تتكسـر دائماً بين يديك»، تعلق: «أنت تتذكر من غير شك، ولكن تحاول أن تنسـى»، يرد: « ربما، ولكن مضى

وانتهى، هذا قبل ثلاثين سـنة، المهـم الآن..»، تقاطعه: «المهم أنك أسرعت إليَّ، في ذلك اليوم، وأنت تقول: حبيبتي لا تخافي، فداك كل الكؤوس، بدل الكأس سأشـتري لك عشرة، كسِّري كل الكؤوس، ولا تجرحي إصبعك».

* * *

48 اتحاد الروحين

الآن، وقد بلغت السبعين، أحس بأنني أصبحت حقيقة جزءاً منها، وأنها أصبحت جزءاً مني، لا أستطيع الاستغناء عنها، ولا تستطيع هي الاستغناء عني، هي لي السند، وأنا لها السند، الآن أحسُّ حقيقة باتحاد روحينا، ولطالما من قبل اتّحد منا الجسدان، ولطالما من قبل اختلفنا وتباعدنا وتباغضنا، ولطالما خدعتها وكذبت عليها وخنتها، هل أعتذر الآن إليها؟ هل أصارحها؟

* * *

49 في قبري

أُوصِـــي أن تدفنوهـــا معـــي في قبـــري، لم تفارقني طول عمري، نجرتها من شجرة البلوط بســكيني وأنا فتى، كانت معي وأنا صبي أرعى بها غنمي، كانت معي وأنا شاب أهصر أغصان الزيتون، ثم وأنا شــيخ لم تفارقني، أتوكأ عليها حيثمــا ذهبت، ولكــن، لا، لا تدفنوها معي، هي شــاهد عليّ، فقد لوحت بها مرة في وجه أخي، وضربت بهــا مرات ومرات زوجتي، أرجوكم أحرقوها من بعدي.

* * *

50 توازن

فـي الشـباب كنـت أملـك القـوة ولا أملك الإرادة، كنت قلقاً كئيباً يائسـاً متشائماً، واليوم، فـي الشـيخوخة، أنا مرح واثـق مندفع متفائل، أملـك الإرادة، ولكـن لا أملـك القـوة، هذا هو التـوازن الحـق، وإلا كنت بغيـت في الأرض وظلمت وقتلـت وارتكبت ما لا كنت أعرف أو أتوقع، الله رحيم بنا، وعادل.

***

51 الحياة الأجمل

فور دخولــه أغلق البــاب وراءه، قالت له: « الغـداء في المطبخ جاهز»، أطبق فمها بفمه، جذبهــا مــن خصرهــا إليــه، حملها بيــن يديه، ومضى بها إلى الســرير. بعد ساعة وهما على المائدة، سألته: «ما سرّ هذا الشوق؟»، لم يجب، ألحّــت في الســؤال، علّقت: «أخشــى أن تكون إحدى الموظفات قد أثارتك؟ أو اشــتهيت صبية وأنــت في الطريق إلى البيت؟»، غمغم: «لاهذا ولا ذاك، المدير أصدر مذكرة بحسم خمسة في

المئة من راتبي لمدة ثلاثة أشــهر»، ضحكت معلقة: «ليته إذن يحسم عشــرة في المئة لمدة ســنة»، أضاف: «وهدد بنقلي إلى قريــة نائية»، أجابت: «لا تهتم، ليته يفعل، ســنعيش هناك معاً، في الريف سنعيش الحياة الأجمل».

* * *

52 خبر جديد

المذيع حسـن العثمان في التلفاز يقرأ نشرة الأخبـار: «في ختام هذه النشـرة سـأقرأ عليكم الموجز، ولكن، ظهر أمامي على الشاشـة الآن خبـر جديد: تم تعييـن المذيع في قسـم الأخبار السـيد حسن العثمان مديراً لهذا القسم، وسيتسلم منصبـه الجديد بـدءاً من صباح اليـوم التالي» المذيع يعلق: «باسـمي واسـم جميـع العاملين في التلفاز وباسم المشـاهدين الكرام أتوجه إلى الزميـل بالتهنئة وأتمنى لـه النجاح في منصبه

الجديد، والآن سـأعيد عليكم موجز الأخبار»، ويصمت المذيع هنيهة، ثم ينفجر ضاحكاً، ويتكلم: « اعذروني الآن انتبهت إلى أن اسم المذيع حسن العثمان، الذي هو أنا».

***

53 فنجان قهوة

سحب نفساً عميقاً من البقية الباقية من سيكارته، رفع رأسه إلى أعلى، أخذ الرشفة الأخيرة من فنجان القهوة، ثم غمس بقية السيكارة في قعر الفنجان. قلت له: «كان الله في عون النادل، كيف سينظف هذا الفنجان؟»، أجاب ببرود: «هذا هو عمله»، أضفت: «ولا أظن أن الفنجان ستزول منه رائحة التبغ في تفاعله مع القهوة»، أجاب بزهو: «هذا هو الأجمل، هذا هو الفنجان المعتق، أتمنى أن يكون من نصيبي».

54 عادة

اتصلت به بالهاتـف ثلاث مرات، وفي كل مـرة يقول لي: «أعطني فقط خمس دقائق حتى أنتهـي من ارتداء ثيابـي»، في الاتصال الرابع أجابنـي: «أنا جاهـز، فقط اقرع علـيَّ الباب، وسـتجدني أمامك»، غادرت غرفتي، سـحبت حقيبتـي، مررت بجهاز مسـح الأحذية، جعلت دولاب الريش الناعم يدور مرتين، اتجهت نحو غرفتـه، 334، هي غرفته، قرعت عليه الباب، جاءنـي صوته من الداخـل: «تفضل، ادخل»،

فتحــت الباب ودخلت، قدمــه اليمنى على حافة الســرير، وهو يمســح حذاءه بملاءة الســرير البيضاء، وقفت مدهوشاً، وضع قدمه على الأرض، رفع قدمه اليســرى إلى حافة الســرير، أخذ يمســح حذاءه، وهو يتكلم: «أنا جاهز، سننزل فوراً»، قلت له: «هناك في البهو جهاز آلي لمســح الأحذية»، أجابني: «في أي فندق أنزل فيه لا بد من مســح حذائي دائماً بملاءة السرير، هذه عادتي».

* * *

55 العش الصغير

هي أجمل أيام العمر، يستيقظ مع شعاعات الفجر الأولى، يجدها إلى جواره، هادئة، ناعمة، بضة، يتحسس دفئها، يشم عبقها، يتلمس جسدها، يتأمل رموش عينيها وهي نائمة، يلمس شفتيها الممتلئتين، تشرق ابتسامة على الفم القرنفلي، هو زوج، عنده امرأة يحبها، بالأمس كانا يلتقيان في الشارع، في الحديقة، في المنعطفات، في مداخل الأبنية، سنعيش معاً على الحصير، نأكل الخبز والزيتون، لا

قصور ولا سيارات ولا ذهب ولا حرير، يكفي أن نكون وحدنا معاً، يضمنا عـش صغير، لا عمات ولا خالات ولا جدات ولا زيــارات ولا ولائــم ولا واجبات، وها هي ذي اليوم إلى جواره في الســرير، يحتضنهــا، يضمها إليه، يأخذ فــي تقبيلها، تحقق الحلم، هذه هي الحياة.

هي بضعة أيام فقط، أربعة أو خمسة، وينزل إلى السوق، لا بد أن تبحث عن الخبز واللحم والخضار والفواكه، وفي المساء لا بــد من الزوار، وفي اليوم التالي لا بد من الولائم، ثم بعده لا بد من الواجبات الاجتماعية والزيارات.

ويدمر العش الصغير.

* * *

56 كنا من قبل

مـرّ بنـا، ونحـن معـاً فـي المقهـى على الرصيـف، رافع الـرأس، كأنما في عنقه طوق لعـلاج الديسـك، مشـدود الظهـر، كأن قضيباً مـن حديد قد دق في أسـفله، مضى إلى منضدة متطرفة، قعد وحده، أشـار إلى ماسح الأحذية، وضع قدمه على الصندوق ثم أشار إلى النادل، التفـت، ألقى علينا نظرة، ثم حرك رقبته، كأنما آلمه طوق الديسك الذي ليس في عنقه.

كنا نحن الثلاثة من قبل من أعزّ الأصدقاء، ثم صار هو المدير.

57 سفاهة

أمضى عمره وهو يشتري كل أسبوع ورقة اليانصيب، ولم يربح طوال عمره، واليوم، بعد أن بلغ السـبعين، وأصبح غنيـاً وأصبح أولاده أغنى منه، ربح الجائـزة الأولى، وليس بحاجة إليها، تبرع بها إلى مدرسة الأيتام.

***

58 اعتذار

رفعت سماعة الهاتف، فجاءني صوت أنثوي لطيف جداً، وهي تتكلم، بطريقة لا يمكن إلا قبول كل ما قد تطلبه، تقول بعد مقدمات طويلة:

– نعرفك من المهتمين بالشاعر العظيم آخر العمالقة الشاعر عمر أبو ريشة، وأنت خير من يتكلم عنه، نظراً لدراستك الرائعة عنه، هل يمكن حضورك غداً إلى مقر الإذاعة والتلفزيون، عند الساعة الحادية عشرة صباحاً،

هـل يمكـن أن تعطيني عنوان المنزل لنرسـل لك سـيارة قبل الموعد بنصف ساعة؟

عند الساعة الحادية عشرة إلا الربع أصل إلى مقر الإذاعة، تلتقينـي معدة البرنامـج بالترحيب الحار، تمدّ إلـيَّ يدها بورقة وهـي تقول: «تفضـل، هذه هي الأسـئلة التي سـوف أوجهها إليـك»، أقـول لها: «لا ضـرورة، أنا مسـتعد للإجابة عن كل الأسـئلة مهما كانت صريحـة أو جريئة أو قاسـية»، تضحك، تعلق: «لا جريئة ولا قاسـية، هي مجرد ثلاثة أسئلة لا أكثر»، أسـألها: «كم وقـت المقابلة؟»، تـرد باعتـذار: «البرنامج هو برنامـج منوعـات، فيـه رياضـة وتغذية وصحة ومسـابقات، الجمهـور يحب التنويـع، ويتخلله فقرة عن الشـاعر»، تلاحظ علامات الدهشة على وجهي، تتابع بلطف زائد: «فقرتك مدتها ثلاث دقائق فقط، ولكن لا مشـكلة، يمكن تسجيل خمس دقائق، المونتاج سيتولى كل شيء».

أعتذر إليها، وأخرج.

* * *

59 ولدي الوحيد

هو صديــق عزيز، طيب جــداً، التقيته بعد غياب بضع ســنين، تبادلنا الأسئلة التقليدية عن الصحــة والعمل والأســرة، قال لــي: «كامل، ولدي الوحيد، تقدم إلى امتحان الشهادة الثانوية، ونأمل أن ينجح بمعدل ممتاز، يؤهله إلى دخول كلية الطب»، قلت له متفائلاً: «هذا جيد، صديقي خالــد طبيب مختــص بالأمــراض الداخلية، ما رأيــك أن يتدرب عنده فــي إجازة الصيف، إلى أن تعلــن النتائــج وتفتتح الجامعــة؟»، ضحك،

وقــال: «ســبقتك، فكــرت مثلك، أرســلته إلى ســوق الحرامية ليتدرب»، دهشــت سألته: «سوق الحرامية؟ حيث تباع الأشياء المســروقة وهو يغص باللصوص وكل أشكال الكذب والسرقة والاحتيال؟! وهو ولدك الوحيد»، هزّ رأســه متأســفاً: «نعم، لا أريده أن ينشــأ مثلي علــى الأمانة والصدق والأخلاق الفاضلة، لا أريده أن يشقى في حياته مثلما شقيت أنا».

***

60 أيام زمان

اقتربت الحافلة من الموقف، أسرع إليها حشد من المنتظرين، تدافعوا، امرأة شدّت طفلها ودخلت في الزحام، صبية اندست بين الرجال، شيخ شدّ خطواته شداً، دخل بعضهم في بعض. الحافلة تابعت طريقها ولم تتوقف، هي مكتظة، تكاد تنفجر. تراجع الحشد إلى الرصيف خائبين، بعضهم يشتم بعضهم الآخر.

شيخ عجوز يقول لشاب:

– واللــه يا بني كنا في أيام الشــباب إذا جاءت الحافلة قدمنا الشيخ العجوز أمامنا، كنا نفسح الطريق للمرأة لتصعد قبلنا، أين الأخلاق؟ الله يرحم أيام زمان، ماضٍ ولّى وراح.

يسمع كلامه رجل كهل، فيعلق:

– كان عــدد الســكان خمســمئة ألف، اليــوم زاد العدد على المليونين.

ويرد الشاب:

– يــا عم، ما هي مســألة مــاضٍ، ولا مشــكلة أخلاق، ولا مشــكلة عدد سكان، المشكلة أن الدولة في زمانكم كانت تشتري حافــلات كثيرة وتجعلها في خدمة النــاس، اليوم الدولة لا تخدم المواطن، وتترك الناس يدوس بعضهم على بعض.

***

61 زائرة

أنهـض في ظلمة الليل، حـدس ما أيقظني، أوقد السـراج، الورق الأبيض أمامي، والريشة فـي يدي، والمـداد في المحبرة هادئ مسـتقر، كيف لي أن أكتب؟ وماذا؟

أحس بحفيف ثوبها، أصغي إلى وقع أقدامها الحافية على البلاط، أسـمع نبضات قلبها، تقف أمامي شـامخة مثل نخلة، ملتفـة من فرقها إلى قدمها بملاءة سـوداء، أشـم شـذاها، تشير إلى السـراج، من غيـر أن تتكلـم، تمدّ إليـه يدها،

تتناوله، تتكشـف المـلاءة عن كامل عريها، يتألق الجسـد مثل برق خاطف، ثم تلتف عليه الملاءة، وتمضي حاملة السراج.

وأبقى وحدي، المداد في المحبرة يضج ويثور، والريشة في يدي تود لو تملأ الورق الأبيض.

* * *

62 زيارة

أنــا فــي الشــرفة مــع زوجتي، نطــل على الشارع.

ســيارة تقــف أمــام الرصيف قبالــة مدخل البناء، هي سيارة صديقي، أوه، يا لها من زيارة جميلــة مفاجئة، منذ بضع ســنين لم يزرني، أي زيارة هذه. أقول لزوجتي:

– جهاد جاء لزيارتي.

تنهض زوجتي فرحة وهي تقول:

ـ أهلاً به، منذ عدة سنوات لم يزرك، سأعدّ القهوة، سأحضر الفناجيـن الجديدة التي اشـتريناها في زيارتنـا إلى تركية، هي فناجين متميزة، وعندي في الثلاجة دائماً قالب كاتو أخبئه لمثل هذه الزيارات المفاجئة.

مرت بضع دقائق، مرت عشر دقائق، مرت ربع ساعة، لا يعقل. أفتح الهاتف الجوال، أتصل به، أسأله، يجيبني:

ـ أنا هنا عند جارك، في مكتب الوسيط العقاري.

ـ أنا في انتظارك، القهوة جاهزة.

ـ يؤسفني، لن أتمكن من زيارتك، سأزورك في وقت آخر.

تنظر إليَّ زوجتي، تتساءل، أقول لها:

ـ نسـيت أن أخبـرك، صديقي الذي تعرفين بـدأ يعمل في تجارة العقارات.

***

63 انتصار جديد

فور وصوله إلى البيت، أسرع إلى زوجته، يسألها رأيها، أجابته وهي أمام المجلى تغسل الصحون، وظهرها له: «تابعت المناقشة بينك وبينه كلمة بكلمة أمام التلفاز، ما توقعت منك هذا، طالما حدثتني عنه، وقلت لي إنه من أعزّ أصدقائك، وقلت لي إنه طيب ونقي وصادق، ومفكر عظيم، واعترفت بأنه هو الذي رشحك للمشاركة معه في المناقشة في البرنامج، أنت بصراحة تجاوزت كل الحدود، ولم تأت بحجة

عقلية ولا منطقية، أنت لم تنسف أفكاره، أنت نسفت الصداقة بينكما».

طوّق خصرها بذراعه، وهو يقول: «هكذا يكون سحق الخصم، هكذا يكون الانتصار».

حاولت التفلت منه، شدّها إليه بقوة، أطبق فمها بفمه، من أجل انتصار جديد.

* * *

64 تنزيلات

قــال محمــد لصديقــه محمــد: «بضاعتــي وبضاعتك مــن مصدر واحــد، وبضاعتنا هي من أفضل الأنواع في الســوق كلــه، ونحن كنا شــريكين من قبل، فقط لي طلب عندك»، سأله صديقــه محمد: «ما هو طلبك؟»، أجابه صديقه محمد: «فقط أرجو أن نوحد الأسعار، أتمنى ألا تبيع أرخص مني».

فــي اليوم التالي قرأ محمــد على باب محل صديقــه محمــد لوحة كبيرة كتــب عليها بالخط العريض: [تنزيلات الموسم: 30%].

65 بضاعة مسروقة

أخــوان هما، كل منهما يعمــل في بيع قطع تبديل السيارات، في حي واحد، كانا يعملان في محل واحد، ثم اســتقل كل منهما بمحل، مصدر بضاعــة كل منهما واحدة، كل منهما له زبائنه، الأمور تسير على خير ما يرام.

فجأة بدأ أحدهما ينشر بين الناس أن بضاعة أخيــه مســروقة، ومفككة من ســيارات قديمة، وأرقامهــا مزورة، ولا يتردد فــي أن يعلن بين النــاس هذا الكلام، بين الزبائن، بين أهل الحي،

بيـن الأهل والأقارب، الـكلام وصل إلى الأخ. مـاذا يمكن أن يفعل؟

* * *

66 عدل وقوة

احتكم الشريك إلى الأخ الطيب الكريم المتسامح اللطيف جداً. كان حكم الأخ الطيب للشريك على أخيه. أشاد الناس بحكم الأخ، وأخذوا يذكرون عدله وإنصافه وجرأته في الحكم. ولكن سرعان ما تبين لهم أن حكم الأخ على أخيه كان قاسياً جائراً ليس فيه عدل ولا إنصاف. هو مجرد رياء ليظهر بمظهر العادل المنصف القوي، حتى لو على أخيه.

***

67 كلام

صورته فــي صفحة التواصــل الاجتماعي يبتســم، لطيف، رقيق، ناعــم، كلماته تدعو إلى الحب والتواصل ولقاء الآخر، تحث على البذل والعطاء. أحببته، فكرت في لقائه. نصح لي من يعرفه حق المعرفــة أن أبقى على تواصل معه في صفحة التواصل الاجتماعي، ولا أتصل به. لأنه فــي الواقع خلاف ما هــو عليه في صفحة التواصل الاجتماعي. لا أعرف، هل أتصل به؟

***

68 ثمن الدجاجة

أسـرع إليه أولاده، تقافـزوا حوله، تناولوا منـه ما يحمله بين يديه، وقبـل أن تعد لهم أمهم المائـدة، كانوا قد التهموا الدجاجة المشـوية، لم يبق إلا العظام، وعلت أصواتهم:

– بابا نريد مثلها كل يوم.

– أنـا كل يوم أمر أمام محل الفروج وأراها في الشواية، وأشتهيها.

– من زمان ما اشتريت لنا مثلها.

– هذه أول مرة بابا يشتري لنا دجاجة مشوية.

– لأ، بابـا اشـترى لنا مثلها من زمـان أنت لا تعرف، أنت صغير.

– يمكـن قبل ما تولد، بابا اشـتراها نيئة، وماما شـوتها في البيت.

ويمضي الأب إلى الشرفة، تلحق به الزوجة، تناديه، يلتفت، وهو يحبس دموعه.

– ما بك يا رجل؟ هل تشكو من شيء؟!

– أقسم بالله، لن أعيدها مرة ثانية؟

– هل سرقت الدجاجة؟

يضحك، والدموع في عينيه، يكاد يختنق:

– ليتني سرقتها، اليوم أخذت رشوة.

* * *

69 موافقة

يتكلــم وهــو مغمــض العينيــن، يتكلم وهو ينظر في الســقف، يتكلم وهــو لا يراني، يتكلم وهو يشــير بيديه كأنه قائد فرقة موسيقية، يتكلم وصوتــه يعلــو ويعلــو، يتكلــم ويتكلــم ويتكلم، صمت فجأة، سألني: لا شك أنك توافقني الرأي.

* * *

70 ليس حلماً

هذه المرة أنا أحلِّــق حقيقة، وفي الواقع، لا في الحلم، مرات كثيرة ســابقاً رأيت نفســي في الحلــم أحلِّق، ولكــن الأمر هذه المــرة مختلف. بــدأت بالتحليــق فوق الدرج، وقفــت عند أعلى الدرج، ثــم قفزت، وأخــذت بالتحليــق، الدرج يســتدير في شكل مربعات، أهبط عشر درجات أخــرى، أحلّق فوقها، ثم أنعطــف، لأحلِّق فوق عشــر درجات أيضاً، وأســتمر في التحليق، لا أحــط فوق الدرج، أنا أطير، أدفع بقدميَّ الهواء

إلى الخلف، وأستمر في التحليق، أمد كلتا يدي الاثنتين إلى أمام، أنا أعوم في فضاء الدرج، وأنعطف، متابعاً التحليق، الناس أسفل الدرج يروننني، أقول لهم الأمر سهل، ممتع، افعلوا مثلي، هكذا، وأدفع بكلتا يدي في الهواء، متعة ليس بعدها متعة، أنا أحلّق حقيقة، ولكن، للأسف، أستيقظ، هو مرة أخرى، مجرد حلم.

* * *

71 شقة جديدة

أتوجــه إلــى البنــاء، لا بــد من تفقد الشــقة الجديــدة، الطريــق إليها طينيــة موحلة، عمال كثيــرون أمــام البناء، أعبر المدخــل، ركام من الحجارة والأخشاب والأسمنت وأسياخ الحديد، تحتهــا ماء وطين، تكاد قدمي تزل، هيكل البناء مــن الخــارج مكتمل، ولكنه مــن الداخل مجرد أخشاب منصوبة، بعضها يدعم بعضها الآخر، يجب أن أصعد إلى الدور الثالث لأتفقد الشــقة، ليس ثمة أدراج، إنما هي مجرد أخشــاب، أسير

فوق لوح خشـبي، تحتي هوة عميقة، أمشـي بحـذر، لا بد من الوصول إلى الدور الثالث، شـخص ما يقول لي: «هذه شـقتي أنا»، أظنه يخدعني، أعرفها شـقتي أنا، ولكن المشكلة أنها غير مكتملة، لا هو يسـتطيع أن يؤكد، ولا أنا، بل ليس ثمة أي شقة، هو مجرد هيكل من الأخشـاب المتقاطعة والمتساندة، لا أعرف كيف وصلت إلى الدور السـادس، اللوح الخشـبي يترنح، الهوة تحتـي تزداد بعـداً، أكاد أهوي، يضيق صـدري، أكاد أختنق، أستيقظ.

* * *

72 بيتها

أصل إلى بيتها، بيسر اهتديت إليه، وكيف لا أهتدي إليه، وهي التي دلتني عليه. بناء فخم، من ثمانية أدوار، أو أكثر، مدخل البناء واسع وعريض، يفضي إلى بهو واسع جداً، كأنه ساحة ملعب، لم أتوقع هذا، أبحث عن مصعد، لا مصعد، غريب، بناء بهذه الفخامة من غير مصعد، ثمة أدراج على أطراف جدران البهو، أحس بأني في داخل بئر، وفي جدران البئر الأدراج وأبواب الشقق، كيف الصعود؟

شـقتها في الدور الأخيـر، الأدراج معلقة علـى الجدران على شـكل خطوط منكسـرة بزوايا حادة، أصعـد، الدرج ضيق، لا يتسـع لغيـر رجل واحـد، وليس له حاجز يحمي من السـقوط، كلما صعدت ازداد الدرج ضيقاً، أطل على الأسفل وإذا أنا أمام هوة كأنها فتحة بركان، أحس بصعوبة في التنفس، وأنا أصعد، أحـس بضيق في الصـدر، أبلغ نهاية الدرج، باب شـقتها يعلو فوق نهاية الدرج بمترين، كيف سـأقفز إليه، أخشـى السـقوط، أكاد أختنق، وأستيقظ.

* * *

73 غبي

قال لولده وهو يحاوره:

– هل ملأت خزان السيارة؟

– إلى منتصفه، فكرت، وقلت لنفسي سوف تكمل النصف الثاني من مستودع المؤسسة.

– غبـــي، غبي، طول عمـــرك لن تتعلم، في المرة القادمة لا تفكر، ولا تقل لنفسك أي شيء، فقط ضع فيـــه ليترين، يكفينـــي ليتر واحد حتى أصل إلى مســـتودع المؤسســـة، ليتـــر واحد، لا أكثر، ولا أقل، فهمت؟... غبي.

74 دعوة غداء

والله حرت في أمري، وأنا في الطريق إلى المستشـفى لزيارتك، كنت أفكر، ماذا سأحضر لـك، فكرت في الشـيكولاته، ولكن خشـيت أن تتنـاول أنت منهـا، أعرفك تحب الشـيكولاته، ولكـن بعد العملية لا يجـوز تناولها، هي متعبة للكبـد، وفكرت فـي باقة زهر طبيعيـة، ولكن رائحـة الزهور الطبيعية تنبـه الجملة العصبية وتزيـد من الإحسـاس بالألم، فكـرت بالزهور الاصطناعيـة، ولكن قلت لا معنـى لها، مجرد

شـكل ولا رائحة، فكرت ببعض الأدوية المسكنة، ولكن قلت لا يجوز أن أعطيك أي دواء من غير استشارة الطبيب الذي أجرى العملية، على كل حال بعد خروجك من المستشفى سأدعوك إلى الغـداء، تحت بيتي في العمارة نفسـها افتتح مطعم جديد، عنده وجبات همبرغر رائعة.

***

75 ليل ونهار

قال له صديقه وهو يحاوره:

– أنــا كل ليلــة أمضي ســاعتين قبل النوم، أســتغفر ربي، وأحياناً لا يغمض لي جفن حتى الفجر.

سأله صديق:

– وفي النهار؟

– بصراحة، أعود إلى الذنوب نفسها، أسأل الله أن يعفو عني، هذه طبيعة عملي، ماذا أفعل؟

طول النهار وأنا في الســوق، بيع وشراء، إذا لم تحلف الأيمان للزبون، وإذا لم تســاومه في الســعر لا يمكن أن تبيع وتشتري، هذا هو قانون السوق، أسأل الله العفو والمغفرة.

***

76 ليس وحده

شـاهق، عالٍ، ينحني إلى أسفل، يخجل من أن ينظـر إلى النجوم، يسـتحي من أن يرسـل ضـوءه إلـى السـماء، يـدرك أنه لا يسـتطيع تحدي الشـموس والأقمار حتى لو كانت مختفية في الظلمـة، يحترمها وهي غائبـة، يدرك أنها سـتمحو ضـوءه في الصبـاح، ينحنـي بلطف وعطـف علـى الأرض، يضـيء بقعـة فيها، حسبُه أنه يطرد الظلمة عن مساحة صغيرة من الأرض، هو موقن أن هناك رتلاً من المصابيح

قبلــه وأن أرتالاً أخرى بعده، تضــيء مثله بقعاً أخرى، قد يبدو واحـد منهـا نائماً، ولكـن مصابيح أخرى كثيرة من غير شـك يقظــة، هو مؤمن أنه ليس وحده، يكفيه أن يضيء بقعة صغيرة على الرصيف، كي لا يتعثر أحد من المشاة، لا يحزن إن داس ببـطء علـى ضوئه رجل عجـوز، ويفرح إذا لعـب في ضوئه طفل، لكنه يعجب لماذا يهرب من ضوئه العشـاق، وكم يسـعد حين يراهم وهم يمرون تحته مسرعين يحاولون أن يتوارَوْا في ظلال الأشـجار، وكم يُسَرُّ حين يرسم ظلين طويلين متجاورين أو متلاصقين.

* * *

٧٧ أسلوب

– نحــن جبناء نحن كســالى نحــن خامدون خاملون نائمون، نحن لا نعمل شيئاً.

هكذا افتتح خطبته، ثم ابتسم، وقال:

– صباح الورد.

وصمت ثم أضاف:

– أردت أن أهزكــم مــن رقادكم، أردت أن أوقظكــم، أعلم أنكم أقويــاء وفاعلون وقادرون على التحدي وفعل المستحيل.

وضجت القاعة بالتصفيق!

ابتسم، مال على مقدم المهرجان الخطابي، وهمس:

– قلت لك لا ينفع معهم إلا هذا الأسلوب.

* * *

78 باعة ومشترون

إلــى جامع الحي يســرع الباعــة قبل صلاة الجمعــة، يفرشــون بضاعتهم علــى الأرصفة وفوق أســفلت الشــارع، يقفون خارج الجامع، يرقبــون المصليــن، يحرســون بضاعتهم، ولا يصلون.

وإلى جامع الحي القريب يسرع المصلون، وهم في الصلاة يفكرون، ذهنهم مشــغول، ماذا سيشترون هذا الأسبوع؟!

* * *

79 قصة ناجحة

تجهَّم، اربدَّ وجهــه، تغيرت ملامحه، علته غمامــة كالحة، وقــف، انفجــر صائحاً بغضب وهو يشير بكلتا يديه:

– هــذا لا يجوز، هــذه القصة عني أنا، أنت تقصدني.

قلت له بهدوء:

– ليســت القصــة عنــك، وأنــا لا أقصدك، ولكن، هي قصة ناجحة.

* * *

80 هو نفسه

كتبت عنه عدة قصص، ولكنه حتى الآن لم يعرف أنه هو المقصود، لأنه لا يعرف نفسه.

***

81 المدير

كتبـت عنه في كل قصصـي، في قصصي الطويلـة والقصيرة والقصيرة جداً، وحتى الآن لم يعرف القراء من هو؟

وتبيـن لي أنهـم يحبـون أنمـوذج المدير، بـل يقدسـونه، ويقفون فـي أبوابـه، ويركعون له، ويتمسـحون بـه، ويتباركون بـه، من أدنى درجات الإدارة إلى أعلاها.

وإلى أن يعرفوا حقيقته، سأظل أكتب عنه.

* * *

82 مجرد فكرة

اجتمــع بعض رجالات الأدب والفكر والفن والثقافــة والإعلام، لمناقشــة فكرة جرى تناقلها في الأوســاط الثقافية، تتلخص في إلغاء الرقابة على الإعلام والصحافة والمطبوعات والكتب، ودار بينهم حوار لم يطل، ولم يظهر شــيء من الاختلاف، وســرعان ما اتفقــوا على ضرورة الإبقاء على الرقابة.

* * *

83 تكرار

هذه القصة تشبه ســابقتها، ولكن الرجالات الذين اجتمعوا هنا غير الرجالات الذين اجتمعوا هنــاك، وكان اجتماعهـم في مـكان آخر، وفي وقت آخر، مختلفاً.

طبعاً النتيجة واحدة.

* * *

84 هو

أنــت تتكلم بوحــي منه، وتمشــي بقوة منه، وتأكل مما رزقك، وتشــرب مما سقاك، وتعمل بإرادة منه، وتنتظر دائماً عطاءه، وحين يضيق بك صــدرك، تلجأ إليــه، وحين تحتاج تســرع إليه فتســأله، هل تذكره دائماً؟ هل أنت وفيٌّ له؟ هل أنت صــادق معه؟ هل أنت مخلص له؟ هل تستحتضره في ذاتك في كل أعمالك؟ هل تتوجه إليه حيثمــا ذهبت؟ هل تخجل من أن يراك فيما

لا يحــب؟ هو أعظم مــن الأب والرئيس والملــك، هو الكل في الكل.

لا شــك فــي أنك تعرفــه، ولكنــك لا تذكره، بــل تغفل عنه وتنساه، إنه هو.

* * *

85 هو أيضاً

هـو يتحرك في داخلك، تراقبه، وتحذره، لا تتكلـم إلا بمـا يرضيه، لا تفعل أمـام الناس إلا بما يسـمح به لك ولهم، تحسب له ألف حساب، فـي القول والفعل، حتى أمام أعزّ أصدقائك، بل أمـام إخوتك، وأحيانـاً لا تتكلم بما يغضبه حتى أمـام زوجتـك وأولادك، فأنـت تخشـى عليهم وعلى نفسك، لا تعرف، أحياناً تخشى أن تهمس لنفسـك أمام نفسك، فللحيطان آذان، بدأت تحس بأن رزقك في يده، بدأت تعرف أن مستقبلك في

يده، بدأت تؤمن بأن حياتك في يده. وأنا بدأت أخاف الكتابة عنه أكثر. أصبح معروفاً، إنه هو.

***

86 أقوال

تقـول لي أمــي: «اخفـض صــوت التلفاز أرجـوك، فالصــوت يصــل من غير شــك إلى الشــارع»، تقـول لــي زوجتي قبــل أن نذهب إلــى النــوم: « احذف مــن بريــدك الرقمي كل الرســائل التــي وصلتــك، احذف كل الرســائل التي أرســلتها»، أقــول لولدي قبــل أن يخرج: «احــذف مــن جوالك كل الأرقــام التي اتصلت بهــا أو اتصلــت بــك، احذف كل الصــور، كل الأغنيــات»، يقول لــي ولدي، وهو في الســنة

الخامسة من كلية الهندسة المعلوماتية: «يستطيعون يا أبي أن يسترجعوا كل الرسائل وكل المكالمات التي حذفتها ولو مرّ عليها عشر سنين، كل شيء محفوظ في الفضاء يا أبي».

* * *

87 أنت ...لا أنا

هي قصصك أنت، ليســت قصصي أنا، أنا لســت هنا، بل أنت، أنا أســتعمل ضمير المتكلم في أكثر ما أكتب، هو مجرد وسيلة للتعبير، هذا الضميــر أنا يريحني، يحفزني إلــى الكتابة، أنا أتقمص شــخصيتك أنت، وأعيش مثلما تعيش، وأتخيل حياتك، فأكتب عنك، أكتب عن نفســك، أنــا أكتب أنك أنــت، أنا حتى الآن لم أبح بما في نفســي، لا تبحث عنــي أنا في هــذه القصص، ابحث عن ذاتك أنت، ابحث عن نفسك.

* * *

88 إلى الشرق

فــي صباح اليــوم التالي فوجئـت أنا وأمي بأبــي وهو يقول لنا: «ســننتقل إلى غرفة مطلة على الجهة الشرقية»، كنا قد استمتعنا يوم أمس بمشهد الغروب من الشرفة المطلة على البحر، وكم كان المشــهد رائعاً، حتى إني صحت: «يا اللــه، مــا أجمل الغـروب»، عبـرت أمي عن اســتيائها من مدير الفندق، وأعلنت عن رغبتها فــي الانتقال إلى فندق آخر، فبأي حق ينقلنا إلى غرفــة أخرى، فأكد لها أبــي أن هذا كان بطلب

منه، دهشــت أمي، ســألت أبي: «لماذا؟»، أجابها: «أريد لولدنا أن يشهد الشروق».

* * *

89 أعداء وصديق

مــع الأيام أصبح أكثــر الأعداء أصدقاء، إذ تبيــن لنا أنــه لا أهمية لكل ما كنــا نختصم فيه، وفجأة، لا أعرف لماذا؟، تحوّل أعزّ صديق إلى عدو حقيقي.

* * *

90 رئيس التحرير

يتصل بـي عبر الهاتف ليقـول لي: «اليوم عندنا محاضرة للسـيد رئيس التحرير، هو قادم من العاصمة، لا تتأخر، اليوم سـتكون المقاعد كلهـا مملـوءة، كل الأدبـاء الذين يسـعون إلى النشـر في مجلته سـيحضرون اليوم، قد لا تجد لـك مقعداً»، أجيبه: «ما دمت لن أجد مقعداً فلن آتي».

* * *

91 أسئلة وأسئلة

يشد على يدي مصافحاً، وهو يمطرني بالأسئلة: «كيف هي أمورك؟ كيف هي صحتك؟ كيف الأولاد؟»، ماذا أقول له؟ أنا أعاني ارتفاع الضغط، وتشنج الأمعاء، ومنذ يومين وأنا أنام في الفندق وآكل في المطعم ولا آوي إلى البيت، بسبب خلاف مع الزوجة، رصيدي في المصرف يوشك على النفاد، ولدي الكبير موقوف في السجن رهن التحقيق بتهمة التحرش ببنت قاصر، أجيبه: «وأنت؟ كيف هي أمورك؟ كيف هي صحتك؟ كيف الأولاد؟».

92 مشكلة عنوان

فوجئت بالقصة منشـورة في المجلة نفسها، كان رئيـس التحريـر قد اتصل بي قبل سـبعة أشـهر واعتـذر عـن نشـرها، أكد لـي أنه لن يتحمل مسؤولية نشرها، لأنها خطيرة، وتحتمل تأويـلات لا نهاية لها، أعدت إرسـالها إليه قبل شهر واحد فقط، ولم أغير فيها سوى العنوان.

* * *

93 هي نفسها

رجل وامرأة من مدينة واحدة تعارفا بأسماء مستعارة عبر الفيس بوك، تواصلت بينهما الرسائل، تبادلا كلمات الإعجاب، وسرعان ما تحول الإعجاب إلى حب، نما كبر تطور، دعته المرأة إلى اللقاء، الساعة الخامسة مساء، في مقهى الرجاء، سوف آتي في معطف أبيض طويل، أحمل حقيبة يد حمراء صغيرة، أقعد إلى المائدة الأولى أمام الباب، أفتح حقيبتي، أستل منها وردة حمراء، في الموعد المنتظر جاء

الرجل، قعـد في مقهى الأمل مقابل مقهى الرجاء، أخفى وجهه وراء جريـدة يتظاهر بقراءتها، جاءت المرأة بمعطفها الأبيض الطويـل، وفي يدهـا حقيبة حمراء صغيرة، قعـدت في المكان المحـدد، أخرجـت مـن حقيبتهـا وردة حمراء، طـوى الرجل جريدته، نهض ومشى في اتجاه آخر، كانت زوجته.

***

94 سخرية

صـورة في الفيس بوك لصبيـة جميلة، في سن الصبا والشباب، اسم أنثوي جميل، كل يوم تصل إلى العنوان عشـرات رسائل الإعجاب، من رجـال كثيرين، مراهقين وشـباب وكهول وشـيوخ وعجائـز، جـواب واحد يرسـل إلى العناويـن كلها، كلمات حـب، كلمات تواصل، كلمات إباحـة، كلمات جريئـة، مواعيد تطلق، خيالات تشـتعل، مشـكلات فـي البيـوت تثار وتنتشـر، ثـم فجـأة غابـت الصـورة وأغلـق

الحساب، ولا جواب عن أي رسالة من أولئك الرجال المشتعلين حباً وشوقاً، كان المرسل يضحك ويسخر، ثم ندم وتأسف، كان المرسـل الذي وضع صورة امرأة مجرد رجل أراد أن يسـخر من بني جنسه، ثم تبين له أنه كان يسخر من نفسه.

***

95 مصالح مشتركة

هــي في لنــدن، لا تجيد العربيــة، وهو من بلد عربي، يعرف الإنكليزية، ولكن لا يجيدها، شــاب وصبية، تعارفا عبر صفحة الفيس بوك، تواصــلا، اســتمرت بينهما الرســائل، أجاد هو الإنكليزية، أتقنها، تعلمت هي العربية، أتقنتها، استمرت بينهما الرسائل، بالعربية والإنكليزية، تبادلا المشــاعر والعواطــف، تحابّا، تخرّج في الجامعة، وعدهــا أن يتزوجها، رجاها أن توفر لــه منحة لمتابعة الدراســة، وفرت لــه المنحة،

جـاء إليها في لندن، نزل في ضيافتهـا، وإذا هي عربية، أبوها عربي، أمهـا عربية، اعتذرت إليه، أخبرتـه أنها كانت تخطط لتتـزوج من عربـي اعترف لها بأنه مثلهـا كان يخطط لمتابعة دراسته في إنكلترا.

* * *

96 اشتعال

عبر صفحة الفيس بوك، تعارفا، هو باسمه الحقيقي، وصورته، ورقم هاتفه وعنوانه، وهي باسمها المستعار، هي صبية في الثلاثين، هكذا صرحت، وهو عجوز في الستين، حقيقة، هو طبيب، حقيقة، وهي ممرضة، هكذا ادعت، كانت الرسائل الأولى ليومين فقط في مجال الطب، ثم انقلبت بسرعة إلى رسائل تواصل إباحي صريح جداً وجريء جداً، كل منهما متزوج، أحسا بمتعة كبيرة في هذه الرسائل، بل بنشوة، أكدت له أنها لا تسمع من زوجها مثل

تلك الكلمات الفاحشة، وأكد لها مثل ذلك، اعترفت له بأنه أشهى إليها من زوجها، اشتعلت نيران الشهوة أكثر واتقدت، هي من مدينة أخرى، في دولة أخرى، أقسمت له بأنها ستأتي إليه في أول طائرة لتمضي معه العمر كله، ولو بالسرّ، عنوان عيادته موجود في صفحته، وعنوان منزله، ورقم هاتفه، بل أرقام هواتفه، وليس حضورها إليه بالمستحيل، فهي غنية ومقتدرة، جاءتها رسالة في الصفحة نفسها يقول لها: «أعتذر إليك أنا شيخ عجوز، تجاوزت الثمانين، ونصفي الأسفل مشلول، وأنا قعيد على كرسي متحرك، وعندي ارتفاع في الضغط، وهبوط في القلب، والسكري، والتضخم في البروتستاتا، أتناول في اليوم خمسين حبة دواء، وعندي زوجة وممرضة، وأربع بنات، وخمسة ذكور، وأكثر من عشرين حفيداً، كنت أكذب عليك، كي أتسلى وأعوض عن عجزي، كنت أتواصل مع صبايا كثيرات، لست أنت الوحيدة، سامحيني»، هل كان يكذب من البداية؟ أم هل هو كاذب في النهاية؟ لا تعرف، هي في حيرة من أمرها، لا تزال ترسل إليه رسائل لا تعرف كيف تخاطبه فيها، ماعاد يدخل إلى الصفحة، ماعاد يرد على رسائلها، لا تعرف هل أشعلها ثم تركها أم خدعها؟

97 الذكرى

عبـر صفحـة الفيس بوك تعارفـا، اتصلت بينهمـا الرسـائل، شـاب وصبية، فـي عمرين متقاربيـن، مـن بلد واحد، ولكـن كل منهما في مدينة، اشتعل بينهما الحب، قال لها: «لكل شيء بداية ونهايـة، وغالباً ما تكون النهاية تعيسـة، لنصنع النهاية بأنفسـنا، بحُرِّيَّـة مطلقة»، قررا قطع الرسـائل، وأن يحتفظ كل منهما بالذكرى الجميلة.

***

98 الصمت

افترقا قبل عشرين عاماً، هما معاً من مدينة واحدة، طوال عشـرين عاماً لم يلتق بها، قصد كل الأماكـن التي كانا يلتقيـان فيها، بحث عنها في الأسـواق والشـوارع والأزقـة والحدائق، في المستشـفيات فـي المقاهي، ولـم يلتق بها، لا يعـرف كيـف ضاعت منـه، ثم فجـأة رأى صورتهـا في الفيس بوك، دخـل إلى صفحتها، أخذ يمضـي كل يوم سـاعات معها في صفحة الفيـس بوك، يطالـع أخبارها، يقـرأ تعليقاتها،

عرف أصدقاءهـا، كل يوم يدخل إلى صفحتها، ولكنه لا يجرؤ علـى أن يدوّن كلمة، هو علـى يقين من أنها تدخل كل يوم مثله إلـى صفحته، تـرى صورته، تتابع أخبـاره، تعرف أصدقاءه، تقرأ تعليقاته وتعليقاتهم، ولكنها لا تدوّن مثله أي كلمة، يكفيه أنه يراها في صفحـة التواصل الاجتماعي، يكفيه يقينه بأنها تدخل مثله إلى صفحته، ولا تدوّن مثله أي كلمة.

* * *

99 الكلمة

خمس سـنوات ظل يكتب لهـا، وهي تكتب له، عبر صفحة الفيس بوك، سـاعات يمضيان كل يوم، هو يكتـب وهي تكتب، عرضت عليه أن يلتقيا، رفض، عرضت عليه أن يراها وتراه عبر السكاي بي، وأن يتكلّما معاً، يسمع صوتها، وتسـمع صوته، رفض، أكّد لها أنه تكفيهما معاً الكلمة المكتوبـة، ثم ذات يوم عرض هو عليها أن يلتقيـا، أو أن يرى كل منهما الآخر ويسـمع صوته عبر السـكاي بي، رفضـت، ذكرته أنه يكفيهما التواصل عبر الكلمة المكتوبة.

100 جبناء

كل أسبوع تغيِّر صورتها في صفحة الفيس بـوك، كل يـوم تكتـب كلمـات شـعرية حافلة بالعاطفة والشوق إلى الحبيب المجهول، باسمها الصريح، مرت أشهر ولم يعلِّق أحد، ولم يرسل إليهـا أحد رسـالة، حتى كلمة أعجبنـي لم ينقر عليها أحـد، هي جميلـة، بل مثيـرة، وكلماتها عاطفيـة ورقيقـة، تنـم عـن رغبة بـل دعوة، قرّرت أن تفعل شيئاً، وانهالت عليها التعليقات، وكثر النقر على كلمـة أعجبني، وتدفقت عليها

الرسـائل، كل مـا فعلته أنهـا صنعت صفحة جديـدة، بصورة لامرأة ما مظللة غائمة، وباسم مستعار، يا للرجال الجبناء.

***

101 اطمئنان

بعيد الساعة الثانية من منتصف الليل نال منها التعب، أغفت واللابتوب بين يديها، صفحتها مفتوحة، تقلَّب زوجها إلى جانبها في الفراش، استيقظ، دفعه الفضول، دخل إلى صفحتها، رأى أختها على الطرف الآخر تكتب لها من أستراليا، تذكر محادثاته، نزل من السرير، حافياً مضى إلى مكتبه، فتح اللابتوب الخاص به، تأكد من أنه قد حذف كل المحادثات التي أجراها مع صديقته، ثم رجع لينام مطمئن البال.

102 تسلية

كل يـوم يمضـي معظـم الليل أمـام الفيس بـوك يراسـل كثيـرات، ولا ينـام حتـى قبيل الفجر، بعد عـام أو أكثر، عرض على كثيرات منهن الـزواج، وكان صادقاً وجاداً ولكن كلهن رفضـن، أكَّدْن له أنهن لا يردن من الفيس بوك غير التسلية.

***

103 مشكلة الفيس بوك

طلب من أمه أن تبحث له عن زوجة مناسبة، قالت له: «ما وجدت في الجامعة في أثناء دراستك أي بنت مناسبة؟»، فرد عليها: «الجامعة أفسدت كل البنات، أريد طالبة في المرحلة الثانوية، ولا أريد لها متابعة الدراسة»، سألته بعفوية: «وصديقاتك في الفيس بوك، ما وجدت صديقة مناسبة؟»، رد باستياء: «بنات الفيس بوك أسوأ، قلت لك أريد فتاة بريئة لا تعرف أي شيء»، بعد عناء، وطول بحث،

اســتقر مع أمه على فتاة، وتم الاتفاق على كل شيء، وقبل عقد القــران بيومين، ســألها إن كان لها صفحة فيــس بوك، فأجابت بكل الفرح: «نعم»، وهي تتوقع أن يكلمها عبر صفحتها، ولكنه على الفور فسخ الخطبة.

***

104 صفا

ثلاث سنوات وأنا أدعو كل يوم عبر صفحة الفيس بوك إلى اســتعمال مصطلح «صفا» بدلاً من فيس بوك، والمصطلح مشــتق من «صفحة التواصــل الاجتماعي»، وأحــاول في كل مرة تبريــر اســتعمال المصطلــح، وأحــاول ربطه بالصفاء، والصفوة، والصفاة، وأسعى إلى تأكيد قدرة اللغة العربية على اســتيعاب المصطلحات الحديثــة، ولقد تجاوز عدد أصدقائي وصديقاتي الألــف، وها أنذا، بعد ثلاث ســنوات أجدني في

هذه القصص أستعمل مضطراً بل مهزوماً مصطلح الفيس بوك ومصطلح اللابتوب، لم يستجب إلى دعوتي أحد، سوى صديقة واحـدة مقيمــة فــي باريس، هي مستشــرقة تعمــل على وضع مصطلحات عربية مقابل المصطلحات الأجنبية.

* * *

105 صلة الأرحام

قالـت لهـم الجـدة: «غـداً عيـد الأضحى، لا بـد من زيـارة الأعمام والأخـوال والعمات والخالات وتهنئتهـم بالعيد»، غمغم الجميع ولم يعلق أحد بشيء، أعادت الكلام، سمعت إجابات لم تفهم منها شـيئاً، قال لها الأب: « لا زيارات ولا لقاءات، حتى ولا هاتـف، التهنئة أصبحت بالفيـس بوك»، علّقت الجـدة: «لكن، لا بد من صلة الأرحام»، أضاف الأب: «مفهوم الأرحام تغير، أصبح للشـباب والصبايـا أرحام جديدة،

عندهـم أصدقاء وصديقات على الفيس بوك، ولا بد من السـهر معهم طوال الليل، صلة هؤلاء هي الأَولى والأهم».

***

106 بنات الفيس بوك

تدخل عليــه زوجته بفنجان قهوة، ثم تخرج بفنجان، ثم بدأت تصنع له دلة قهوة، علب التبغ إلى جانبــه، لا يحتاج إلى قداحــة ولا إلى علبة كبريــت، يشــعل ســيكارة جديدة من الســيكارة القديمــة قبــل أن تنطفئ، لا يســمح لزوجته أن ترمــي المنفضة، حيــث يتراكم رماد الســكائر والأعقــاب، ولا يســمح لها بفتح النافذة، يســره الدخــان وهــو يملأ الغرفــة، وتســره المنفضة وهي تمتلــئ بالرماد وأعقاب الســكائر، «أنت

لا تعرفيـن، هـذه هـي حياتي»، وهـو في غرفته وحـده، أمام اللابتـوب، لا يغـادر صفحة الفيس بوك، لا يـكاد ينام ولا يكاد يـأكل، هذا دأبه منـذ أن أحيل على التقاعد، وهو في الخامسـة والسـتين، لم تمض سـوى بضعة أشـهر، حتى أخذ يخرج من الغرفـة إلـى المطبخ وهو يقول لزوجته: «وفـاء خائنة»، يطل من الشرفة، ثم يرجع إلى زوجته، وهو يقول لها: « رأيت دعد قادمة، افتحي الباب الآن ستصل»، يرجع إلى غرفته والسيكارة بين أصابعه المرتعشـة، وهو يغمغم: «سلوى طلقت زوجها»، وقبل أن يقعد يرجع إلى زوجته يسـألها: «متى ذهبت حسـناء، هل قدمتِ لها القهوة؟»، ازداد رُعاش أصابعه، ما عاد يستطيع التعامل مع مفاتيح اللابتوب، فنجان القهوة يندلق على ذقنه قبل أن يصل إلى فمه، بعد شـهرين، وهو يلفظ الروح، كان يغمغم: «خَدَعْنَني، كلُّهن خائنات، بنات الفيس بوك».

* * *

107 كلام وفعل

قالت لهـا جارتها: «اليـوم عرفت، زوجي لـه صديقات كثيـرات على الفيس بـوك، وهو يمضـي الليـل كلـه فـي الكتابـة لصديقاته»، ضحكـت جارتهـا، وردت: «أنـا زوجي عنده صديقـة، يحدثهـا على السـكاي بـي وتحدثه، ويراها وتراه»، صرخت الجارة سائلة: «وماذا فعلـت؟»، ردّت الجارة: «ما فعلت أي شـيء، ولن أفعل، هي لها الكلام معه، وأنا لي الفعل».

* * *

108 عجوز

تواصلا فتـرة طويلة عبر الفيـس بوك، ثم ذات يـوم اقتـرح عليها أن يلتقيـا، وكان الوعد أن يكون اللقاء في حديقة الأزهار، عند الساعة الرابعة، أمام البركة الصغيرة في الركن الشرقي من الحديقة، وكانت الإشارة أن تأتي تحمل باقة ورد أحمر، وعلى رأسها قبعة حمراء، ونظارة طبيـة، ورجتـه أن يسـبقها إلى الموعـد، وأن ينتظرهـا على المقعد تحت شـجرة الصفصاف الوحيدة فـي ذلك الركن، وفـي الموعد المحدد

قعـد ينتظـر، ومرت بضـع دقائـق، وإذا عجوز في السـبعين مـن العمر تقبل من طـرف البركة تحمل بيـد باقة ورد أحمر، وتتـوكأ باليد الأخرى على عصا محنية الظهر، وعلى رأسـها قبعـة حمراء كبيرة، وعلى عينيها نظارة طبية سـميكة، صدمه الموقـف، وحار في أمره، لا شـك في أنها هي، ولكن هل يعقل أن تكون عجوزاً في مثل هذا العمر، وتردد، ثم قرر أن ينهض إليهـا، وأن يقدم لها نفسـه، مبـرراً موقفه بأنهـا عجوز أرادت أن تملأ وقتها بالتسـلية، وليكن لها ما أرادت، واعتبر استجابته عملاً إنسانياً قوامه الشفقة، وعلى الفور رحبت به، وناولته باقة الورد، وقالت له: «اذهب إلى تلك الفتاة الصبية الجالسـة هناك على المقعد المجاور لك، فهي صديقتك الحقيقية، لا أنا».

* * *

109 لا بد من اللعب

قال له صاحبه، وهو يحاوره:

– ما رأيك في الشطرنج؟

أحابه:

– لا أحب الشطرنج، أكره هذا التنافر الحاد بين مربعاته البيض والسود، أكره أن يتصارع الكل بمن فيهم الوزير والجند، حتى الفيل والحصان، حتى القلعة نفسها، ويقتل معظمهم، لينتصر في النهاية أحد الملكين، وليعود الصراع

ثانية، معارك متكررة لا تنتهي، من غير جدوى.

سأله صاحبه:

– ما رأيك في الطاولة؟

أجابه:

– أكرهها أكثر، حجارتها إما بيضاء وإما سوداء، ولا شخصية لها، كلها مدورة مسطحة، وأكثر ما يؤلمني فيها اعتمادها على الحظ.

حدّق فيه صديقه، فعلّق:

– أنا أكره الصراع والحروب والمعارك، أكره هذا الانقسام الحاد بين أبيض وأسود.

قال صديقه في سرّه:

– أنت مخادع مخاتل، أو ضعيف جبان.

* * *

110 الحصان الأبيض

حمحم الحصان الأبيض، فالتفت إليه زميله الأسود وسأله:

– ما الذي يدور في صدرك؟

– يؤلمني أننا في الصف الثاني، ولسـنا في الصف الأول.

أجابه زميله:

– أخطأت في التفكير، نحن في صف الملك والوزيـر، ويكفينـا فخراً أننا نمتلـك من حرية

الحركة والانتقال أكثر مما يملك الجند أنفسهم، حتى إننا نستطيع القفز فوقهم.

سمع الجند كلهم الحوار، ولكنهم تظاهروا بالصمم.

* * *

111 نحن الأكثر

قال جندي لزميله الجندي:

– يحزنني أن صلاحياتنا محدودة، فمن حق أحدنا أن يتحـرك أول مرة فقط خطوتين، ثم لا يسمح له بالتحرك سوى خطوة واحدة، ولا يحق لنا أن نتراجع، مثـل الحصان أو الفيل، أو مثل القلعة، حتـى القلعة التي هي مـن حجر أفضل منا، ونحن أول من يموت.

أجابه زميله معزياً:

– ولكـن لنا شـرف الدفاع عن ملكنا، وقد يـأكل أحدنا ملك العدو، أو قد يموت ملك العدو بسبب جندي واحد منا، ولا تنس أنـه يمكن أن أصبح أنـا أو أنت وزيراً، وعلـى كل حال فنحن الأكثر عدداً.

* * *

112 مجرد فكرة

قال جندي لزميله الجندي:

– ما رأيك في أن ننقض على الملك؟

دهش الجندي، وسأل:

– لا يمكن أن نخترق الصف الأول من جند العدو، لا بد أن يسقط جند العدو أولاً.

علّق زميله:

– أقصد ملكنا نحن؟

سأله مدهوشاً:

– ولماذا ننقضّ عليه؟

أجابه:

– نصبح ملوكاً بدلاً منه؟

فكّر الجندي طويلاً، ثم قال:

– ولنفترض أننا انقضضنا عليه، فمن منا سـيصبح الملك، أنا أم أنت؟ والأنكى أن ننقض نحن ويصبح غيرنا ملكاً؟

* * *

113 الوزيران

اتصـل الوزيـر الأبيض بالوزير الأسـود، وقال له:

– إلى متى سـنبقى طوال عمرنا وزيرين؟ ما رأيك في أن ينقض كل منا على الملك ويأخذ دوره ومكانه؟

ضحك الوزير الأسود، وقال له:

– مـن الأفضـل أن نبقـى وزيريـن، فالملـك بحاجة إلينـا، ونحن لسـنا بحاجة إليه،

وصلاحياتنا أوسع من صلاحياته، وإذا متنا فيمكن أن نبعث من جديـد، يكفي أن يصل جندي إلى موقعنا لنعود إلى الوزارة، أما الملك فبنهايته تنتهي اللعبة.

* * *

114 محاولة للتجديد

اتصل الملك الأبيض بصديقه الملك الأسود، وقال له:

– مللت من كل شيء، أبحث عن التجديد.

وبعد تشاور فيما بينهما، اتفقا على أن استبدال اللونين للرقعة والمربعات وللجند وللحاشية ولنفسيهما بلونين آخرين. اختلفا حول اللونين الجديدين اللذين سوف يختارانهما، وبعد قليل من التشاور الودي، اتفقا على أن يختارا بين حين وآخر درجات مختلفة للأبيض نفسه والأسود نفسه.

115 الملكان

قال الملك الأبيض لصديقه الملك الأسود:

– أفكر في طريقة لا يموت فيها أي منا؟

أجابه صديقه الملك الأسود:

– ليس مهماً ألا نموت، فالكل سوف يموت، وستبقى الرقعة وتبقى اللعبة، ولكن المهم أن نكون آخر من يموت.

مرت فترة صمت قصيرة، انفجر بعدها الملك الأبيض ضاحكاً، قهقه عالياً، ثم قال:

– ما أغبانا نحن الاثنين، كيف نسـيت يا صديقي، بل كيف نسـيت أنا أيضاً، نحن لا نموت، لا أنا ولا أنت، نحن من أجلنا تقام اللعبة كلها، بل تجدَّد دائماً.

***

116 قوانين جديدة

مفكـر عبقـري، فكّـر طويـلاً فـي تغييـر قوانين اللعبة، هـل يمكن وضع الملك والوزير والحصانيـن والفيليـن والقلعتين فـي المقدمة، ووضع الجند في الصف الثاني، لماذا لا يحارب الملك والحاشـية أولاً، لماذا لا يدافع هؤلاء عن أولئك، لماذا لا يموت الملك أولاً، لماذا لا يكون النصر ببقاء آخر الجند حياً؟

فكّر في ذلك طويلاً، فكّر في قوانين جديدة، حـدّث أهله، حـدّث أصحابه، فكّر في تشـكيل

لجان وجمعيات ونوادٍ لمساعدته على تغيير قوانين اللعبة.

وصــل الخبر إلى الملك، أرســل وراءه، خصص له غرفة صغيرة في قبــو القصر، وفّر له بعض ما يحفظ به حياته، أبعد عنه كل ما يمكن أن يشــغله عن التفكيــر في أي أمر، بعد ردح من الزمن، أخرجه.

أصبح أكثر إتقاناً للقوانين القديمة.

* * *

117 مربع الملك

قفـز الملك خارج الرقعة، خطب في الجند، تنازلـت لكـم عن مربعي الوحيـد الذي لا أملك غيـره، أنتـم منـذ الآن لا تدافعون عنـي، أنتم تدافعـون عن المربع الذي هو منذ الآن ملك لكم جميعـاً، الرقعة كلها أصبحـت لكم، وعليكم أن تذكروا دائماً أن سـقوط هذا المربع يعني سقوط الرقعة كل الرقعة.

***

118 قبول

قبل دعوة صديقه، وتوجها معاً إلى المطعم، ومــا إن فتح الباب وهمّ بالدخــول حتى فوجئ، أرض المطعم رقعة شــطرنج كبيرة، وهو الذي يكره الشــطرنج، همَّ بالرجوع، الجوع قرصه، أخذ يسير بحذق فوق المربعات البيض.

* * *

119 مسألة غلاف

أهديته روايتي الأخيرة، بعد شهر سألته عن رأيه فيها، فأجاب: «الغلاف غير ناجح».

***

120 ظل

في ظل ناطحات السحاب، مع روائح النفط المنبعثة من الناقلات العملاقة، على صخب الطائرات الضخمة وهي تملأ الأرض والسماء بالضجيج، بوحي من التريليونات في المصارف التي يصطف على يمينها اثنا عشر صفراً، وبضغط من سرعة الاتصال في الشبكة العالمية بين القارات وما تحمله من مليارات الملفات، من الطبيعي أن يستعين المرء ببضع كلمات ليرسم ظلاً صغيراً، ليكتب قصة قصيرة جداً.

المحتويات

1 – شظايا 5

2 – العنوان فقط 7

3 – دائماً كلها 9

4 – أمنية تحققت 11

5 – غريب 13

6 – معجب 15

7 – على ذوقه 17

8 – الأخت 19

9 – التقويم 21
10 – ليست هي 23
11 – غيرة 25
12 – حتى هي 27
13 – دعوة 29
14 – عشق 31
15 – عند الوداع 33
16 – لنكسر المرآة 35
17 – دوام الحب 37
18 – الدنيا بخير 39
19 – الصمت 41
20 – الدود والأضراس 43
21 – أذواق 45
22 – سيملأ مجلدات 47
23 – إصابة الهدف 49

24 – دغدغة 51
25 – قطعتان أفضل 53
26 – الولد سرّ أبيه 55
27 – المفتاح 57
28 – أين اختفى 59
29 – إصبع واحدة 61
30 – براءة طفل 63
31 – أين الحقيبة؟ 65
32 – اللثام 67
33 – لو كانت عشرة 69
34 – طعام البحر 71
35 – انتهى الدوام 73
36 – حديث المائدة 75
37 – مأدبة 77
38 – ثمن العلبة 79

39 – موقف خاص 83
40 – أنا المخطئ 87
41 – ساعة السرور 89
42 – يعرف طريقه 91
43 – تنظيم الوقت 93
44 – مسألة مزاج 95
45 – عودة إلى الغابة 97
46 – قوة الحياة 99
47 – انكسارات 101
48 – اتحاد روحين 103
49 – في قبري 105
50 – توازن 107
51 – الحياة الأجمل 109
52 – خبر جديد 111
53 – فنجان قهوة 113

54 – عادة 115
55 – العش الصغير 117
56 – كنا من قبل 119
57 – سفاهة 121
58 – اعتذار 123
59 – ولدي الوحيد 125
60 – أيام زمان 127
61 – زائرة 129
62 – زيارة 131
63 – انتصار جديد 133
64 – تنزيلات 135
65 – بضاعة مسروقة 137
66 – عدل وقوة 139
67 – كلام 141
68 – ثمن الدجاجة 143

69 – موافقة 145
70 – ليس حلماً 147
71 – شقة جديدة 149
72 – بيتها 151
73 – غبي 153
74 – دعوة غداء 155
75 – ليل ونهار 157
76 – ليس وحده 159
77 – أسلوب 161
78 – باعة ومشترون 163
79 – قصة ناجحة 165
80 – هو نفسه 167
81 – المدير 169
82 – مجرد فكرة 171
83 – تكرار 173

84 – هو 175
85 – هو أيضاً 177
86 – أقوال 179
87 – أنت لا أنا 181
88 – إلى الشرق 183
89 – أعداء وصديق 185
90 – رئيس التحرير 187
91 – أسئلة وأسئلة 189
92 – مشكلة عنوان 191
93 – هي نفسها 193
94 – سخرية 195
95 – مصالح مشتركة 197
96 – اشتعال 199
97 – الذكرى 201
98 – الصمت 203

99 – الكلمة 205
100 – جبناء 207
101 – اطمئنان 209
102 – تسلية 211
103 – مشكلة الفيس بوك 213
104 – صفا 215
105 – صلة الأرحام 217
106 – بنات الفيس بوك 219
107 – كلام وفعل 221
108 – عجوز 223
109 – لا بد من اللعب 225
110 – الحصان الأبيض 227
111 – نحن الأكثر 229
112 – مجرد فكرة 231
113 – الوزيران 233

114 – محاولة للتجديد 235
115 – الملكان 237
116 – قوانين جديدة 239
117 – مربع الملك 241
118 – قبول 243
119 – مسألة غلاف 245
120 – ظل 247